الشـــمعة

عند شعراء العصر العباسى الثانى

د. أحمد فهمى عيسى

كلية التربية بدمياط جامعة المنصورة

مكتبة نانسي دمياط

هاتف: ٤٠٣٧٥٥ - ٤٠٦٦١٥ - ٣٢٣٣٦٩

فاكس: ٠٥٧/٤٠٣٧٥٥

محمول: ٠١٠١١٠٨٧١٩ - ٠١٠٦٠١٠٦ - ٠١٢٧٥١٠١٠٦

البريد الإلكتروني:

www.nashahean@yahoo.com

اسم الكتاب: الشمعة عند شعراء العصر العباسي الثاني.

اسم المؤلف: د/ أحمد فهمي عيسى.

اسم الناشر: مكتبة نانسي دمياط.

اسم الطابع: مطبعة نانسي دمياط.

رقم الإيداع: ٤٤٦٧/ ٢٠٠٣.

الترقيم الدولي: I.S.B.N ٩٧٧-٥٨٦٧-٣٣-٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم

"الله نورُ السماوات والأرض، مثلُ نوره كمشكاة فيها
مِصْباحٌ . المصباح في زجاجةٍ . الزجاجة كأنها كوكب
دريٌّ يوقد من شجرة مُباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربية
يكادُ زيتها يضيءُ ولو لم تمسسه نارٌ نورٌ على نورٍ يهدي الله
لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء
عليم".

سورة النور : الآية (٣٥)

المقدمة :

لقد عاش شعراء العصر العباسى الثانى حالة اغتراب شديدة ؛ نظـراً لأن الاستقرار والأمان اللذين كان يعيشهما المجتمع فى العصر العباسى الأول زالا بزوال قوة الخلافة حيث وصل إلى سدة الحكم خلفاء ضـعاف أصـبحوا ألعوبة فى يد الأتراك كالمقتدر الذى حكم فى نهاية القرن الثالث ومعظم الربع الأول من القرن الرابع ، أو نظراً للقطيعة بين الحكام والمحكومين حيث قبض البويهيون والسلاجقة من بعدهم على زمام الحكم . وتقدم رجال صغار وتخلّف رجال كبار ، ووقف الزمن ضد كل صاحب طموح وموهبة ، وتاهت علامات بارزة فى وسط الزحام .

وهنا وجد الإنسان نفسه ثائها حائراً . غير آمن على يومه وغده . بدأ يحس بالفقد والغربة . وبدأت الإيقاعات تعزف منفردة خارجـة عـن إطـار منظومات جماعية . وبدت الوحدة هى ديدن الإنسان فى هذا العصر . وللوحدة لوازمها ، مرارتها فى الليل . حيث تعصر المرارة أهلها فيجـافيهم النـوم . ومن هنا يبرز دور الشمعة كلازمة من لوازم الوحدة . ولأن الشاعر إنسـان كان فى حاجة إلى الشمعة لتؤنس وحدته ، ولتنير ظلمة بصيرته قبل أن تنيـر ظلمة بصره .

والشمعة كانت فى حاجة إلى الشاعر أيضاً لأنها عادة فى حاجة إلـى من يبث فيها الحياة ، حتى وإن كانت حياتها مدفوعة حتمـا إلـى النهايـة . فالإنسان أيضاً حياته مدفوعة إلى النهاية فلا فرق بين الاثنين .

المهم أن الشاعر العباسى فى العصر الثانى أحس بالشمعة فبدأ يصفها متأملاً ، بل بدأ يخلع عليها مشاعره ، حيث جعلها ذوب نفسه . كل هذا كـان

جديداً برغم أن الشمعة كانت موجودة قبل ذلك بكثير إلاّ أنها لم تلقـت نظـر الشاعر القديم بمثل ما لفتت نظر شاعرنا فى العصر العباسى الثانى .

فوجدنا عند شعراء العصر العباسى الثانى مقطوعات شعرية كثيـرة تفيض جمالاً وحرارة حول الشمعة ، حتى تحولّت هذه المقطوعات إلـى مـا يشبه الظاهرة الشعرية مما جعلنا نقف عندها فى هذا البحث .

فإذا كانت الشمعة تضيء لتُظهِر الأشياء فهى فى حاجـة إلـى مـن يظهرها ويبرزها ، مسلطاً الأضواء على دورها المادى والمعنوى ، ولهذا جاء هذا البحث بعنوان " الشمعة عند شعراء العصر العباسى الثانى " محاولين فيه أن نبلور هذه الظاهرة .

وقد جاء البحث فى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

التمهيد : يدور حول ماهية الشمعة ، وطرق صناعتها ، وفوائدها وما كتـب عنها فى النثر .

الفصل الأول : يدور حول " وصف الشمعة " وفوائدها فى الشعر .

الفصل الثانى : يدور حول " الشمعة فى وجدان الشـعراء " حيـث يـدرس العلاقة النفسية بين الشاعر والشمعة من خلال دراسة حياة بعـض الشعراء الذين كتبوا فى الشمعة .

الفصل الثالث : يدور حول " شعراء الشمعة نظرات فنية " حيث يبرز بعض السمات الفنية فى شعر الشمعة .

الخاتمة : تسجل بعض النتائج التى توصل إليها البحث .

وفى النهاية ينبغى أن أشير إلى أن دراسة الأدب من الناحية الحضارية، وهو ما أحاول أن التزم به فى دراساتى العباسية أمر شاق وشيق، شاق لأنه يستلزم جهداً كبيراً فى البحث والتنقيب فى بطون الكتب والمصادر، حتى نجمع ولو نتفاً بسيطة حول ظاهرة معينة ، ثم محاولة بسطها فى بحث معين ، وشيق لأنه عندما يتم البحث ويسلط الضوء على ظاهرة معينة ينسى الجهد الذى بذل ، بل يستبدل بمتعة تعادله وربما تفوقه .

وأخيراً أرجو من الله العلى القدير أن يلهمنى الصواب وأن ينفع بما كتب وأن أنتفع بما أتعلم . وحسبى أننى حاولت واجتهدت .

أحمد فهمى عيسى

تمهـــــيد

والشمعة من الشمْع ، " والشّمَع محركة الميم مُوَلّدٌ : هو الذى يستصبح به أو مومُ العسل ، القطعة : بهاء .
وشَمَعَ ، كمنع ، شمعا ، وشمُوعاً ، ومشمعة : لعب وفرح
وشَمَعَ الشيء شموعا : تفرّق ، ومِسكٌ مَشْمُوع : مخلوط بالعنبر .
وأشْمَعَ السّراج : سطع نوره . وشمّع الثوب : غمسه فى الشمع المذاب [1] " .

فالشمْع هو الذى يستصبح به أى الذى يستخدم فــى الإضــاءة حتــى الصباح كما نُلاحظ أن ميمه تكون بالفتح فينطق : الشّمَعَ وتكــون بالســكون فينطق الشْمْع . فقد جاء في المصباح المنير ، " قال ثعلب : الشّمَعُ بفتح الميم وإن شئت أسكنتها ، وقال ابن السكيت : الشّمَعَ بفتح المــيم وبعــض العــرب يخفف ثانيه ، وقال ابن فارس : وقد يفتح الميم فاسهم أن الإسكان أكثر ، وعن الفرّاء : الفتح كلام العرب ، والمولّدون يُسكنونها [2] .

ومن هنا نفهم أن الشمْعة قد تسكن ميمها وقد تفتح ولكن الغالب تسكين الميم . فهى شمْعة أو شمَعَة . فالشمْعة واحدة الشّمْع . أو كما قال ابن سيدة : الشّمَع والشّمْع لغتان فصيحتان [3] .

والشمعة تصنع من مادة رخوة تتكون من خليط أغلبه دهنــى . هــذه المادة هى الشمع " والشمع : مادة دهنية تستخدم على نطاق واسع كطبقة واقية لمختلف الأسطح وهى تقاوم الهواء والماء والتغيُّر الكيمائى . ومعظم الشــمع صلب فى درجة حرارة الحجرة ويلين بالتسخين .

[1] – القاموس المحيط : مادة (شمع) . والمُوم : بالضم ، الشّمعُ معرّب (المصباح المنير)
[2] – المصباح المنير : مادة (شمع) .
[3] – لسان العرب : مادة (شمع) .

ويقوم أصحاب المصانع بإنتاج ثلاثة أنواع رئيسة من الشمع :
الشمع المعدني ، والشمع الحيواني ، والشمع النباتي ، ويخلط معظم أصحاب المصانع نوعين أو أكثر من الشمع ليكتسب ملتجهم الصفات المرغوبة .

الشمع المعدني : يستخدم معظم الشمع المعدني من النفط حيث تستخدم عمليات كيميائية لفصل الزيت عنه ، وهناك ثلاثة أنواع رئيسة من شمع النفط:
شمع البرافين ، والشمع الدقيق التبلور ، والفازلين .
وتختلف هذه الأنواع من الشمع من ناحية اللون والصلابة ودرجة الانصهار ، ويقاوم شمع النفط الرطوبة والكيماويات ، وليس له طعم أو رائحة .. وتصنع معظم الشموع من شمع البرافين .

الشمع النباتي : لكثير من النباتات طبقة شمع طبيعية تحميها من الحرارة والرطوبة ، فأوراق نخيل الكرنوبية تكتسي بهذه الطبقة ، وينتج منها الشمع الكرنوبي وهو من أصلب أنواع الشمع النباتي ، وأكثرها استخداماً ويظل هذا الشمع صلباً في الجو الحار .

الشمع الحيواني : يستخدم وحده أو يخلط بشمع النفط لصنع الشموع والمواد الملمعة والمنتجات الأخرى .
وينتج النحل شمع النحل عندما يكوّن قرص العسل ، ويستخرج شمع الصوف من طبقة شحمية توجد على الصوف غير المعالج ، ويستخدم دهن صوف الغنم – وهو نوع من شمع الصوف – في صنع مستحضرات التجميل[1] .

---

[1] – الموسوعة العربية العالمية : مادة شمع ، المجلد الرابع عشر ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، السعودية ، الطبعة الأولى .

ولمّا كانت الشمعة فى العصر العباسى تصنع فى الأساس من شمع النحل على الأغلب لذا ينبغى أن نركز عليه . لنعرف كيف تصنع النحلة الشمع حيث " تتطور عدد خاصة منتجة للشمع فى بطون الشغالات وعمرها عشرة أيام تقريباً ، وتأكل الشغالات كميات كبيرة من العسل ، وتعمل الغدد الشمعية على تحويل سكر العسل إلى شمع .

ويتسرّب الشمع من خلال ثقوب صغيرة فى الجسم ، ويشكل رقائق بيضاء ، على الوجه الخارجى للبطن ، وتشكل النحلة عادة ثمانى رقائق فى الوقت نفسه ، وتنزع النحلة الرقائق من على بطنها بواسطة أرجلها رافعة إيّاها إلى فكّيها ، وبعد أن تمضغ النحلة الشمع ، تضعه على جزء من قرص العسل الذى تبنيه . وتنتج النحلة شمع النحل عندما تحتاجه لبناء قرص العسل. وتصنع النحلة بشكل عام ابتداءً من اليوم العاشر وحتى اليوم السادس عشر من حياتها [1] .

والشمعة : قضيب من مادة دهنية تتوسطه فتيلة يستضاء به وتصنع الشمعة من شمع النحل أو مادة مشابهة ، وعندما تضاء الشمعة يسيل الشمع الذى يصهره اللهب ، ويحترق هذا الشمع المنصهر ، وينتج عنه الضوء . وتصنع الشموع فى ألوان وأشكال وأحجام مختلفة ، وتُعطر بأنواع مختلفة من العطور [2] .

ولقد استخدمت الشموع منذ ما قبل التاريخ المكتوب وكانت تصنع من مواد مختلفة خلال القرون ، بما فيها شمع شجرة الشمع ، وشمع النحل ،

---

[1] - الموسوعة العربية ، جـ ٢٥ ، ص ١٧١ .

[2] - نفسه ، جـ ١٤ ، ص ٢٦٠ .

وشمع البراقين ، وشمع حوت العنبر ، والشحم الحيوانى ، وتصنع الشموع يدوياً وفق ما يلى :

إما أن يغرس الخيط عدة مرات فى الشمع السائل ، أو يصب الشمع السائل فى قالب بداخله خيط معلق ، أو تلف طبقات من الشمع اللين حول الخيط ، ويستخدم صناع الشمع الآلات التى تنتج كميات كبيرة من الشمع .

وقبل انتشار استعمال الكهرباء للإضاءة فى أوائل القرن العشرين كان الناس يستخدمون الشموع مصدراً للضوء ، أما فى الوقت الحاضر ، فإن الشموع تستعمل فى المناسبات مثل حفلات الميلاد ، أو للزينة فى الرحلات وداخل المنازل .

وبعض الناس يهوون صناعة الشموع ، وأكثر الوسائل أمناً لإطفاء الشمعة هو خنقها بآلة معدنية تسمى المطفأة [1] .

وفى العصر العباسى الثانى كان الاهتمام بالغاً بالشمع من حيث جلبه من الأماكن المختلفة إلى جانب استخدامه فى الإضاءة بالإضافة إلى استخدامه فى الأعياد والمناسبات المختلفة . ففى الاحتفال بأحد الأعياد حكى أن نازوك – القائد التركى على عهد المقتدر – تحرك " فى موكبه وبين يديه أكثر من خمسمائة فراش بالشموع الموكبية [2] ، سوى أصحاب النقط " [3] .

---

[1] – الموسوعة العربية ، جـ ١٤ ، ص ٢٦٠ .

[2] – الشموع الموكبية ، نسبة إلى الموكب ، وهى الشموع الضخمة التى توقد فى المواكب أى فى المسير جماعات ركباناً كانوا أو مشاة .

[3] – رسوم دار الخلافة : هلال الصابئ ، تحقيق ، ميخائيل عواد ، ص ٩ ، دار الرائد العربى ، بيروت ، أصحاب النقط : هم حاملوا مشاعل النفط فى المواكب .

وفى مصر فى هذا العصر " كان المصريون يحتفلون بعيد الغطاس احتفالاً كبيراً ، وهو يسمى عيد الغطاس ، لأن كثيراً من النصارى كانوا يغطسون فيه فى النيل .. وكان فى الرسوم القديمة بمصر أن يركب متولىّ الشرطة ليلة الغطاس فى موكب كبير ، وتوقد بين يديه الشموع الموكبية والمشاعل ؛ فيطوف الشوارع وينادى فى الناس ألا يخلط المسلمون بالنصارى فى تلك الليلة وألا ينكّدوا عليهم عيدهم " [1] .

وفى عيد الغطاس " كان العادة أن يضاء سوق الشمّاعين بإضاءة كبيرة، وكانت حوانيته لا تزال مفتّحة إلى نصف الليل " [2] .

ولم يكن استخدام الشمع فى الأعياد فقط ، بل كان يستخدم كذلك فى المناسبات السارة كتولية الوزارة فيحكى أن أبا الحسن على بن الفرات – وزير المقتدر " لما خُلِع عليه خِلَع الوزارة زاد فى ذلك اليوم ثمن الشمع قيراطاً فى كل مَنّ [3] ، وزاد سعر القراطيس لكثرة استعماله لهما وكان من رسمه ألا يخرج أحد من داره وقت العشاء إلاّ ومعه شمعة مئوية ودرج منصورى – وجرى رسمه مدة وزارته أن يعطى كل من يخرج من داره عند اصفرار الشمس شمعة " [4] .

ونظراً لأهمية الشمع وكثرة استخدامه كان يدرج له ميزانية خاصة من فى ميزانية دار الخلافة ففى أيام الخليفة المكتفى فى آخر القرن الثالث الهجرى

---

[1] – الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ؛ آدم متز ، جـ٢ / ٢٨٩ .
[2] – نفسه ، جـ٢ ، ص ٢٩٠ .
[3] – المن : مكيال يزن رطلين .
[4] – الحضارة الإسلامية ؛ آدم متز ، جـ١ / ١٨٢ .

" كانت أرزاق الفراشين والمجلسيّن ، وخزّان الفرش ، وخزان الشمع ، وأجرة الأعوان والحمالين فيها ، في كل شهر أيامه خمسون يوماً من جملة ألف وخمسمائة دينار ثلاثين ديناراً .

ثمن الشمع والزيت من جملة مائتي دينار في الشهر . اليوم ستة دنانير وثلثي دينار " [1] .

ونظراً لكثرة استعمال الشمع بالذات في الطبقة العليا . كانوا يضطرون لاستيراده من الخارج ، يقول آدم متز : " أما ما كانوا يصدرونه من العسل والشمع والوبر فكان يحمل إليهم من ناحية الروس " [2] .

وكثيراً ما يلجأ بعض الناس إلى تخزين الشمع وتعتيقه – وبالذات الشموع الضخمة – بغرض إبطاء النار فيها ، فقد جاء في نشوار المحاضرة أن ابا الحسن بن عياش عندما أجاب دعوة لأبي الطيب بن أبي جعفر الطائي قال : " وكان أحسن ما شاهدنا له شمعتين موكبيتين فيهما ثلاثون أو أربعون منّ في تورين [3] كبيرين نصبهما في وسط المجلس ، وفرّق الشموع الصغار حواليهما .

فكان الفراشون إذا أرادوا قطّ الشمعتين ، تطاولوا شديدا حتى يقطّوهما.

وكان لون الشمعتين غير مليح يضربُ إلى البياض ، مما قد غَشِيَ عليهما من التراب .

---

[1] – الوزراء ، أو تحفة الأمراء : لأبي الحسن الهلال الصابي ، تحقيق ، عبد الستار أحمد فراج ، ص ٢٣ ، عيسى البابي الحلبي ، سنة ١٩٥٨ .

[2] – الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، جـ٢ / ٣٧٤ .

[3] – المنّ : الذي يوزن به يساوي رطلين ، والتور : أداة تثبت فيها الشمعة .

وجلسنا إلى قريب من الغداة وهما تتقدان فى ليلة شتوية ، ونمنا وانتبهنا ، وهما تتّقدان ، [فنظرت] فإذا الذى اتّقد من كل واحدة منهما ، أصابع يسيرة ، وهما بحالهما .

قال : فما تمالكت ، أن سألته ، فيما بينى وبينه ، عن سبب ذلك فقال : هما عندى ، وعند ابى من قبلى ، منذ خمسين سنة ، ما استعملناهما وعندنا شمع كثير هذا سبيله ، تعمدنا تعتيقه ، لأنّه بلغ أبى أنّ الشمعَ إذا عتّق عشراتِ سنين ، ثم استعمل ، كان ما يحترق منه هذا القدر ، ونحوه .

فعتّق شمعا كثيرا ، ونَسِيَهُ ، ومات ، وتشاغلت بعده عن استعماله سنين ، فلما احتفلت لهذه الدعوة الآن ، ذكرت الشمع العتيق الذى فى خزائننا، فأخرجت هاتين منه ، وكان من أمرهما ما رأيت ، وصحت التجربة لنا فيهما [١] .

وهكذا وجدنا المجتمع فى العصر العباسى الثانى كان يهتم اهتماماً بالغاً بالشمع فكان أفراده يحرصون على جلبه واستخدامه فى الإضاءة والأعياد والمناسبات المختلفة وبالذات الأفراد من الطبقة العليا أو من له صلة بهذه الطبقة .

وبطبيعة الحال كان الأدباء ممن لهم صلة بالطبقة العليا ، ولهذا وجدنا الشموع فى دور كثير من الأدباء ، إما أنها جاءته مشتراة أو مهداة . ولذا رأينا الأدباء كتّاباً وشعراء يتبارون فى الحديث عن الشمعة ، وإن كان الحديث

---

[١] - نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة : القاضى أبى على المحسن بن على التنوخى ، تحقيق عبود الشالجى ، جـ٢ ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ، دار صادر - بيروت ، ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م .

في الشعر عنها أكثر ، فإن النثر لم يتركها هملا ، بل وجدنا بعض المقطوعات النثرية التي تحدثت عن أوصافها وفوائدها ، بل تعدى الأمر إلى وجود بعض المناظرات النثرية بين الشمعدان والقنديل ، مما يدل على أن الشمعة كانت حاضرة في أذهان الكتّاب ، وليس في أذهان الشعراء فقط .

فمن المقطوعات النثرية ما أورده النويري في نهاية الأرب من رسالة لابن الأثير الجزري يتحدث فيها عن الشمعة وشعلتها عندما تداعبها الريح يقول : " وكان بين يدي شمعة نعم مجلسي بالإيناس ، وتغني بوجودها عن كثرة الجلاس ، وكانت الريح تتلاعب بشعلتها ، وتدور على قطب لهبها ؛ فطوراً تقيمه فيصير أُسْلَةً ، وطوراً تُميلُهُ فيصير سلسلة ، وتارة تجوّفه فيصير مِدْهَنَة، وتارة تجعله ذا ورقات فيمثل سوسنة ، وأونة تنشره فيبسط منديلا ، وأونة تلفّهُ على رأسها فيستدير إكليلاً " [1] .

وفي رسالة أخرى له صوّر لهبها بصور أخرى يقول : " وكانت الريح تتلاعبُ بلهبها لدى الخادم فتشكله أشكالاً ، فتارة تُبرزه نجماً ، وتارة تبرزه هلالا ؛ وربما سطع طوراً كالجُذارة في تضاعيف أوراقها ، وطوراً كالأصابع في انضمامها وافتراقها " [2] .

أما عن المناظرة بين القنديل والشمعدان فقد أوردها النويري أيضا [3] . وفيها يفتخر الشمعدان على القنديل بأنه يختص بمنادمة الملوك والأمراء . يقول الشمعدان : " لستُ بنديم الملوك في المجالس ، كلاّ ولا الروضة الغنّاء

---

[1] – نهاية الأرب للنويري ، جـ١ ، ص ١٢٣

[2] – نهاية الأرب : جـ١ / ١٢٣ .

[3] – نهاية الأرب : جـ١ ، ص ١٢٤ إلى ص ١٢٩ .

للمَجالس ! طالما أحدقت بى عساكر النظّار ، ووقفت فى استحسان هياكلى رؤية الأبصار ، وحُملتُ على الرؤوس إذا عُلّقتَ بأذانك ، وجُليتُ كجلاء المرهفات إذا اسودّ وجهك من دخانك " .

فيرد عليه القنديل بأنّه يجالس أهل الدين فى الأماكن المقدسة يقول : " إن كان فخرك بمجالسة السلاطين فافتخارى بمجالسة أهل الدين ! ، طالما طلعتُ فى أفق المحراب نجماً ازداد علا ، وازدانت الأماكن المقدسة بشموس أنوارى حُلا : جمع شكلى مجموع العناصر ، فعلى مثلى تُعْقَدُ الخناصر ، يحسبنى الرائى جوهرة العقد الثمين ، إذا رأى اصفرار لونك كصفرة الحزين.. "

فيرد عليه الشمعدان متباهياً بارتفاع ثمنه ، وأنّه لا يكون إلاّ عند علية القوم .

فيرد عليه القنديل بأنه يوضع فى موضع أعلى من موضعه فيقول الشمعدان : " طالما علا القتّام وانحطت الفرسان ، ومكث الجمر وسما الدّخان"

ثم تستمر المبارزة وكل منهما يستخدم أحاجيه وأدلته إلى أن تنتهى المناظرة وكل منهما يعترف بفضل الآخر " .

وهكذا وجدنا أن النثر لم يكن بمنأى عن وصف الشمعة .

ولكن الشمعة كانت قريبة كل القرب من الشاعر لأنّها كانت مؤنسته وأداته فى الليل الطويل . ولهذا وجدنا الشاعر يتأملها ، ويدقق فيها ، بل يخلع عليها حالته النفسية ، لأن حاله كحالها . فخرجت إلينا مقطوعات شعرية رائعة وصفت الشمعة ، وذكرت فوائدها ، وصوّرتها ، وبيّنت التلازم النفسى بينهما وبين الشاعر . وهذا ما سنحاول أن نوضحه من خلال هذا البحث .

الفصل الأول

وصـــف الشـــمعة

وصف الشمعة : والوصف من الأغراض الشعرية القديمة الحديثة لأن الإنسان منذ القدم جبل على وصف كل ما تقع عليه عيناه ، كما أن الموصوف يتغير من عصر إلى عصر ومن بيئة إلى أخرى ومن هنا كانت حداثة الوصف .

والشمعة من الأشياء التى لفتت انتباه الشعراء فى العصر العباسى الثانى وأثارت تأملهم فتوقفوا عندها بالنظر مدققين فى كل جزء منها ، راصدين كل حالة من حالتها ، ربما لأن وجود الشمع ، أصبح ظاهرة حضارية أو ربما لأن الشمعة هى الرفيقة والمؤانسة فى ليلهم الدامس ، فما أكثر ما أغلقت عليهم أبواب .

فالشاعر عندما يصف الشمعة يصف شيئاً مقرباً إلى نفسه فوجدناه يفتن بقدها وقوامها ، ووجدناه يدهش للونها ، ووجدناه يشفق عليها من بكائها وهو يعلم أنها تبكى لتموت ، وجدناه يتأمل فى عريها . وجدناه مقشعر البدن عندما يراها تُنحر لتضيء للآخرين . إنها عنده فى النهاية مثال للتضحية .

والشعراء عندما قدموا هذه الأوصاف للشمعة لم يقدموها بأولوية واحدة ، ولكن أحياناً يبدأ شاعر بالقوام المعتدل ، ثم يثنى ببقية الصفات ، وأحياناً يفضل البدء باللون وأحياناً يبدأ ببكائها ودموعها . ونحن سنتعرض لأوصاف الشمعة حسب بدايات الشعراء لأوصافها . فنبدأ بمن بدأ بالحديث عن قوام الشمعة واعتدالها وما أضاف من أوصاف أخرى .

فبطالعنا المبكالى ليرى الشمعة معتدلة القوام كقوام الغصن ، حيث تقل مع نورها قيمة حمرة الشمس عند الغروب لأن نور الشمعة مع الليل يزيد والشفق مع دخول الليل ينتهى ، ولكنها تستقبل الليل بدموعها وقلقها البادى فى

اهتزاز شعلتها ، مما يضفي على لونها صفرة كصفرة العاشق ، فكأنها تكابد ما يكابد، ولكن العاشق جواه ناره في حشاه أما هي فنارها في رأسها . إنها تلازمنا في فترة نحن في أمس الحاجة إليها فيها من الغروب إلى الشروق وكأنها تعبر بنا طريق الليل المظلم بأمان يقول الميكالي : [1]

يا ربّ غصن نوره
يزري بنور الشفق
يظلّ ظلّ عمره
يبكي بجفن أرق
صفرته تخبر عن
عشق ولم يعشق
نار المحبّ في الحشا
وناره في المفرق
لاح لنا في مغرب
فردتنا في مشرق

أما الوأواء الدمشقي فيصور الشمعة معتدلة القوام كالغصن أو كالألف الذي يرسمه بقلمه ، يمتلئ فمها بالرضاب . ولكنه رضاب ملتهب ، هي عريانة ولكنه عري يثير في النفس العجب ، تظل طوال ليلها تسكب الدمع من عينها ، إنها تكابد ، فعمرها هو فترة مكابدتها . يقول [2] .

---

[1] – ديوان الميكالي : تحقيق خليل عطية ، ص ١٥٨ ، عالم الكتب ، بيروت – الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

[2] – ديوان الوأواء الدمشقي ، ص ٥٠ .

قوام غصنٍ كأنه ألفٌ

تهدى لنا من رضابها لهباً

باطنها مكتسى وظاهرها

للعين يُبدى مُزَّهفا عجباً

قد يئست من بكائها فترى

أدمعها طول ليلها سكبا

تكابد الليل وهى جاهلة

وعمرها فى الكباد قد ذهبا

أما الصنوبرى فيراها دقيقة القدّ ، مفتولة القوام ، ملساء كالدروع ، أو كالخدود الملساء الناعمة ، حياتها تتذر دائماً بمماتها ، فالنار التى تشتعل فى رأسها هى التى تقطع فى أجلها . يقول : [1]

مجدولة فى قدّها

تحكى لنا قدّ الأسل

كأنها عمر الفتى

والنار فيها كالأجل

ثم يعود الميكالى ليحدد المادة التى تصنع منها الشمعة فهى من نبات النحل ، أى من شمع النحل ، ثم يصفها ؛ معتدلة كالجارية الكاعب ، صفراء

---

[1] - ديوان الصنوبرى ، ص ٤٣٥ ، ووردت الأبيات فى ديوان الوأواء الدمشقى ، ص ١٨٠ مع استبدال (مجدولة) بـ (ممشوقة) .

باكيةً كالعاشق ، إذا تنعم الناس بأثوابهم فإن ثوبها – يقصد خيطها الداخلى – لا يجرّ عليها غير الشقاء والبلاء .

يقول الميكالى [1] :

وقضيبٍ من بنات النحل فى قدّ الكعاب
يشبه العاشق فى لونٍ ودمع ذى انسكاب
كسى الباطن منه وهو عريانُ الإهاب
فإذا ما نعِم الأبدان ملبوس الثياب
فهو للشقوة منها فى بلاءٍ وعذابِ

ويأتى سليمان النصيبى ليرسم لنا لوحة حيّة للشمعة ، وفيها تظهر الشمعة مصقولة مثل صدر الفتاة ، عريانة من الخارج مكتسية من الداخل ، تصب من مقلتها دموعاً هى التى تعطيها الحياة ، لها رأس من الخيط كالبرنس لا تستيقظ من نعاسها إلاّ بقطِّ رأسها ، إذا ما داعبتها الريح الخفيفة أخرجت لساناً كالذهب .

هذه الشمعة تغمرنا بالسعادة لأنها تضىء ليلنا الدامس ، وهى بهذا العمل منحوسة تعسة لأنها وهى تُفنى ظلام الليل تَفنى هى أيضاً ولكنها على أية حال آلة للندامى يستعينون بها فى لياليهم فتضفى على مجلسهم السعادة والمرح . يقول : [2]

---

[1] – ديوان الميكالى ، ص ٤٨ .

[2] – يتيمة الدهر ، جـ١ ، ص ٤٠٩ .

ومجدولةٌ مثل صدر القناة
تعرّتْ وباطنها مكتسي
لها مقلةٌ هي روحٌ لها
وتاج على الرأس كالبرنس
إذا رنقت لنعاس عرا
وقطت من الرأس لم تنعس
وإن غازلتها الصبا حركت
لسانا من الذهب الأملس
وتنتج في وقت تلقيحها
ضياءً يُجلّي دجا الحِندس
فنحن من النور في أسعد
وتلك من النار في أنحس
وقد ناب وجهك عن ضوئها
وعن ذا البنفسج والنرجس
ولكنها آلة للندام
ونجمٌ تألّق في المجلس
توقّدها نزهة للعيون
ورؤيتها منية الأنفس
تكيد الظلام كما كادها
فتفني وتفنيه في مجلس

أما الطغرائى فينعتها بالنخلة فى اعتدالها ولكنها ليست كالنخلة فى ارتفاعها ولهذا فثمارها قريبة ، كما أنها ليس لها عروق فى الأرض ، ولا تنتج سعفا كالنخلة . ثم يشير إلى كسائها الفضى المركب فى جسدها الذهبى، تستمد حياتها من ذوبها ، أشعتها الذهبية تعطى نوراً وناراً فى نفس الوقت ولذلك فهى أشبه ما تكون بالشهب ، وفور إضاءتها سرعان ما يفرّ الظلام ويمعن فى الهرب .

يقول الطغرائى [1] :

أنعت نخلاً تجتنى
ثمارها من كثب
مخلوقة من فضة
مغموسة فى ذهب
من ذوبها تسقى ولا
تروى إذا لم تذب
لا عرقها تحت الثرى
ولا لها من كرب
تحمل فوق رأسها
جُمّارة من ذهب
وطلعها منسبك
من ذوبها المنسكب
مغروسة فى مجلس
ضنك بمرأى عجب

[1] - ديوان الطغرائى ، ص ٧٥ .

نورِيَّـــــــــةٌ نارِيَّـــــــــة

شـــــــــبيهة بالشـــــــــهب

يمعـــــن جنـــــد الليـــــل مـــــن

لقائهـــــــــــا بـــــــــــالهرب

وإذا كانت الأمثلة السابقة قد ركزت على قوام الشمعة واعتدالها فبعض الأمثلة يركز على اللون أولاً قبل غيره من الصفات ، فأبو الفرج الببغـــاء – يضع الشموع الصفر على الكراسى الصُّفر (النحاس) ويلبسها غلائـــل مـــن شمس الأصيل (الصفراء) فتعطى خلعاً من الصُّفر أى من الذهب ، ثم إنهـــا تذرف دموعاً كالتبر الأصفر . فنجده قد ركّز على لونها الأصفر بالإضافة إلى ما نعتها به من صفات سابقة يقول الببغاء [1] :

وصفر كأطراف العوالى قـــدودها

قيام على أعلى كراسٍ من الصُّـــفْرِ

تلبسْن من شمس الأصيل غلائـــلاً

فأشرقن فى الظلماء بالخلع الصُّفْرِ

عرائس يجلوها الـــدجى لمماتهـــا

وتحيا إذا أذرت دموعاً من التبـــر

إذا ضربت أعناقها فى رضا الدجى

أعارته من أنوارها خِلَـــع الفجْـــر

---

[1] – نشوار المحاضرة : القاضى المحسن التنوخى ، جـــ٢ / ٣٠٦ ، ديـــوان الببغـــاء ص ١٠٠ .

تبكي علـــى أحشـــائها بجســـومها

فأدمُعُها أجســـامها أبـــداً تجـــرى

علاها ضياءٌ عامل فـــي حياتهـــا

كما تعمل الأيّام في قِصَرِ العمـــر

أما أبو إسحاق الصابي فيقدمها على إناء من فضة حتى يبرز لنا لونها الأصفر ، فكأنها شفق الشمس في وقت الضحى فجمع بين حالتين للشمس في وقت واحد . يقول :

صـــفراءُ كـــالتبر جامُهـــا يَقَـــق

شـــــعاعها كالـــــذبال يـــــأتلق

كأنّ في كـــفٍّ مَـــنْ أتـــاك بهـــا

ضحى نهار فـــي وســـطه شـــفق

فهي صفراء كالتبر ، أو كشعلة الفتيلة الصفراء ، أو كشفق الشـــمس الأصفر المشوب بحمرة .

وشاعر آخر يراها صفراء تشع أشعة ذهبية صفراء على المجلـــس يقول [1] :

وصـــفراءُ تنشـــر مـــن رأســـها

ذوائـــب صـــفرٍ علـــى المجلـــس

الأصفر المشوب بحمرة .

[1] – الأحاجي والألغاز الأدبية ، ص ٢٥١ .

كما نجد بعض الشعراء يقدمون البكاء والدمع على غيرها من الصفات الأخرى .

فأسامة بن منقذ يصورها باكيةً في جوف الليل المظلم وهي لا تبكي إلاّ من نارٍ تدبّ في أحشائها فتتساقط دموعها جمراً ، وربما تبكي لصدّ حبيب أو لجمع شمل قد تشتت ، يقول [1] :

ومفــردة تبكــي إذا جــنّ ليلهــا
خفافاً وفي أحشائها النّارُ واللّــذْع

تذوب جوًى ، إما لصدٍّ وهجــرة
وإمّا لبينٍ ، مــا لتشــتيته جمــعُ

فلم أرَ جمراً ذائبــاً غيــر دمعهــا
ولا جسم باكٍ قبلهــا كلُّــه دمْــعُ

أما الشاعر أبو محمد الدُّوغيّ ، فيجعل دموع الشمعة تجري من مراكبها الصفراء التي رُكّبت فيها ، فتظهر هذه الدموع للناظرين أو ربما تتساقط على رءوسهم فيلمسوا تضحيتها فهي تحترق كي تجعل الليل لهم نهاراً يقول في خماسيّة : [2]

وباكيــــاتٌ قِصَــــرَ الأعمــــار
بــــأدمُعٍ صُــــفْرٍ لهــــا جَــــوَارِ
إذا امتطــــت مراكــــبَ النُّضــــار
وبــــرزت لأعــــين النظّــــار
عــــاد ظــــلامُ الليــــل كالنهــار

---

[1] – ديوان أسامة بن منقذ ، ص ٢٠٤ .

[2] – دمية القصر للباخرزي ، جـ٢ ، ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

أما الشاعر مطفّر بن جماعة بن سامى (ت ٦٠٥) فيرى أنه برغم بكاء الشمعة وشكواها إلاّ أن لسانها لم يتوقف عن الإضاءة ، حتى كأنّه دائما كمدان اذهب لرمح من اللجين ، وهذه الصورة لا تكون إلاّ فى حال إشعال الشمعة . يقول : [1]

جادت بجسم لسانه ذربٌ
تبكى وتشكو الهوى وتلتهبُ
كأنّها فى يمين حاملها
رُمْح لجين سنانه ذَهَبُ

فوائد الشمع :

وبعد أن انتهينا من وصف الشمعة ورأينا كيف نعتها الشعراء بنعوت مختلفة تدل على مدى القرب منها والتأمل فيها . ننتقل إلى ذكر بعض فوائدها فطبيعى أن يكون أول استخدام لها فى الإضاءة ، وهذا الاستخدام بالذات هو الذى جعلها مَدّاعاةً للتأمل من الشعراء وقد ورد فى رسوم دار الخلافة ما يشير إلى هذا الاستخدام " فعندما أراد فرج بن زياد – الذى كان يتولى الضياع الخاصة على عهد المأمون – أن يغادر بيت المخلد بن إبان الكاتب أمر المخلد الغلمان بحمل الشموع بين يديه إلى داره بعد أن جهد به فى أن يركب فلم يفعل " [2] وبعد أن عاد المخلد إلى بيته فى موقف آخر قال لغلامه : " يا طريف : قرّب الشمعة منى ، فقرّبتها إليه " [3] .

---

[1] – معجم الأدباء ، جـ٥ / ٥٠٦ .

[2] – رسوم دار الخلافة : لأبى الحسين هلال بن المحسن الصابئ ، ص ٤٣ ، دار الرائد العربى – بيروت – لبنان .

[3] – نفس الصحيفة .

وهذا يدل على أن الشمعة كانت تستخدم للإضاءة في داخل البيت وخارجه في الليل .

ولهذا وجدنا الشعراء يعبرون عن هذا الاستخدام للشمعة . فأبو إسحاق الصابئ لا يجد وسيلة للإضاءة حتى يصل إلى حبيبه في ليلة مدجنة شديدة الظلمة غير شمعة هيفاء دقيقة الخصر يقول : [1]

وليلة من محاق الشهر مدجنة
لا النجم يهدي السرى فيها ولا القمرُ
كلفت نفسي بها الإدلاج ممتطياً
غرماً هو الصارم الصمصامة الذكرُ
إلى حبيب له في القلب منزلة
ما حلها قبله سمع ولا بصرُ
ولا دليل سوى هيفاء مخطفة
تهدي الركاب وجنح الليل معتكرُ
غصن من الذهب الإبريز أثمر في
أعلاه بالفوتة صفراء تستعرُ
ذاتيك ليلاً كما يأتي المريب فإن
لاح الصباح طواها دونك الحذر

أما الميكالي فلا يقطع ظلام الليل الدامس إلاّ بشمعة كعمود التبر الذي يشق جلابيب الظلام ، ثم يتأمل الشمعة وهو يسير بها فيدعتها بنعوتها المختلفة. يقول : [2]

---

[1] – يتيمة الدهر ، جـ٢ / ٢٦٧ .

[2] – زهر الآداب ، جـ٣ / ٧٤٧ ، ديوان الميكالي ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

وليلٍ كلون الهَجْر أو ظلمة الحِبْـر
نصبنا لداجيــه عمــوداً مــن التبـر
يشــقّ جلابيــب الــدجى فكأنمــا
نرى بين أيدينا عمــوداً مــن الفجـر
يحــاكي زُواةَ العاشــقين بلونــه
وذوب حشاه والدموع التــى تجــرى
خلا أن جارى الدمع ينحله قــوى
وعهدى بدمع العين ينحلُ إذ يجــرى
تبدّى لنا كالغصــن قــداً وفوقــه
شعاعٌ كأنّــا منــه فــى ليلــة القــدر
تحمّل نــوراً حتفــه فيــه كــامن
وفيه حياة الأنس واللهو لــو يــدرى
تراه يذبُ الدهرَ فى برى جســمه
وقد كان أولى أن يــريش ولا يبــرى
إذا ما علتــه علّــةٌ جُــذّ رأســه
فيختال فى ثوب جديــد مــن العمــر

وشاعر آخر هو السّرى الرفاء يُعد شمعة لغسق الليل حيث لا تتضــح معالم الطرق والدروب ، يقول [١] :

[١] – نزهة الأبصار فى محاسن الأشعار للعنابى ، ص ٤٨١ ، ديوان السرّى الرفاء ، ٣١٥

أعددْتُ للّيـل ، إذا الليـل غَسَـقْ
وقيّدَ الألحاظَ مـن دون الطُّـرُقْ
أغصانَ تِبْرٍ عُرِّيَتْ مـن الـورق
ثمارهـا مثـلُ مَصَـابيحِ الأُفُـقْ
يُغنِي النّدامى ضوؤها عن الفَلَـق
شِفاؤها إن مرضتْ ضربُ العُنُـقْ

كما يبرز أبو طالب المأموني هذا الاستخدام فيقول [1] .

وطاعنـة جلبـاب كـلّ دجنّـة
بماضي سنانٍ فـي ذؤابـة ذابـلِ
تجود على أهـل النـدى بنفسـها
وما فوق بذل النفس جـود لسـائلِ
ويقرى عيون الناظرين ضيـاؤها
وقد قُيِّـدت ألحاظُهـا بالأصـائلِ

وهكذا نجد أن الشمعة كانت وسيلة من وسائل الإضاءة فـي الليـل ، ولكنها لم تكن الوسيلة الوحيدة ، حيث كانوا يستخدمون مسارج النفط ، يقـول السرّي الرفاء : في وصف سراج [2] :

[1] – يتيمة الدهر ، جـ٤ ، ص ١٧٣ .
[2] – ديوان السرّي الرفاء ، ص ١٧٠ ، ويقصد أنّ شعلتها تسبح في الزيت .

وحيّـــة فـــى رأســـها دُرّةٌ
تسبح فى بحـرٍ قصـير المـدى
وإن هى غابت فـالعمى ظـاهرٌ
وإن بـدت بـان طريـقُ الهُـدى

ونظراً لأهمية الشمعة فى الإضاءة ، فكثيراً ما كانت تقدّم كهديّة قيّمة للغير . أى أن الشمعة كانت تؤدى دوْراً اجتماعياً حضارياً . والهدايا كما نعمل كم تؤلف من قلوب وتغيّر من مواقف يقول بعض الشعراء [١] :

إن الهديّـــــة حلْـــــوةٌ
كالسّـــحر تجتلـــبُ القُلوبَـــا
تُـدنى البغـيض مـن الهـوى
حتـــىْ تُصـــيّره قريبـــا
وتُعيـــدُ مُضـــطغن العـــدا
وة بعـــد نُفْرتـــه حبيبـــا

ومن هنا تلقفها الشعراء فجعلوها عصوداً من الشِعر فى شعر التهـادى ، لأنها ظلّتْ خِلاً وفيّا للشعراء فى ليلهم الداجى ومع لحظات إبداعهم القلقـة ، فالشاعر فرد من أفراد المجتمع ، عليه دور اجتماعى لابد أن يؤديه ، ولهـذا وجدناه إما أن يَهْدى أو يُهْدى إليه ، فكانت الشمعة من الأشياء الثمينـة التـى يقدمها الشاعر للغير ، ويفرح بها إن قدّمت له من الغير .

---

[١] – عيون الأخبار : لابن قتيبة ، جـ٣ / ٤٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

فالصنوبرى لم يجد أفضل من الشمع يقدمه كهديّة لرجلٍ يعزّه ويقدّره يقول فى هديّة شمع أهداها [1] :

يـــا أبـــا حفـــصٍ قـــد اختـــر
ت قلـــــم آلُ اختيـــــارا
وتأملـــــــت الهـــــــديا
ت كبـــــارا وصـــــغارا
لـــم أجـــد شـــيئا لشـــىء
يجعـــــل الليـــــلَ نهـــــارا
فتأمـــــل مـــــن قريـــــب
شـــجراً يحمـــــلُ نـــــارا
واكنـــــها منـــــك قبـــــولا
تكـــــنْ مُهـــــديها فخـــــارا

أما كُشاجم صديق الصنوبرى يقدم هدية هو الآخر إلى بعض الملــوك هذه الهدية عبارة عن شمعة ، فيهدى الضياء إلى من أعماله مثــل الضــياء . يقول [2] :

وصُفرٍ من بنات النحـلِ تُكْســى
بواطنهـــا وأظهرهـــا عـــوارى
عذارى يفتضضن مـــن الأعـــالى
إذا افتضت من السّفلِ العـذارى

---

[1] – ديوان الصنوبرى ، ص ١٥ .

[2] – ديوان كُشاجم ، ص ٢٠٣ ، زهر الآداب ، المجلد الثالث ، جـ٣ / ٧٤٨ ، والأبيـات منسوبة إلى الصنوبرى أيضاً فى ديوانه ، ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

وليست تسطع الأضواءُ حتّى
تُلقَّح في ذوائبها بنارِ
كواكب لَسْنَ عنك بآفلات
إذا ما أشرقت شمسُ العقارِ
بعثت بها إلى ملكٍ كريمٍ
شريفِ الأصل محمود النّجارِ
فأهديتُ الضياءَ بها إلى من
مَحاسِنَةُ تُضيءُ لكل ساري

أما السّري الرَّفاء فيصف شمعاً أهدى إليه ، معبراً عن فرحه بهذا الشمع ، وينعته بالعديد من النعوت المختلفة يقول : [1]

جاءت هديتك التي
هي شمسنا بعد الغياب
حلّيتَ أفقَ مَحلِّنا
منها بنجمٍ أو شهابِ
بسليلة النَّحلِ الكريـ
ـم ، شقيقةِ النُّطَفِ العذابِ [1]
صُفرِ الجسوم ، كأنّما
صِيغتْ من الذَّهبِ المُذابِ

[1] - ديوان السّري الرَّفاء ، ص ٦٧ .

فكأنّ ماءَ الحُسْنِ ، إذ
شَرِقَتْ بهِ ، ماءُ الشبابِ
فإذا ذَكَتْ نيرانُها
ليلاً ، وجَدْتَ في التهابِ
أنساكَ طِيبُ دُخانِها
طيبَ العبيرِ ، أو الملابِ [1]
وإذا عَرَتْها مَرْضَةٌ
فشِفاؤها ضَرْبُ الرِّقابِ
تُثني الدجى عن لونِهِ
فيعودُ مُبْيَضَّ الحِجابِ
لولا غرائبُ فِعلِها
لارْتَدَّ في لونِ الغُرابِ

ونجده أيضا يُعبر لصديق له عن فرحه بهديته التى أرسلها له فى عيد الميلاد والتى تتمثل فى قباب الشمع . وهى هدية لاقت صدى طيِّبا عند الشاعر فنراه يقول : [2]

بعَثْتَ في الميلادِ لي بِدعةً
تَحارُ فيها عينُ رائيها
هديّةً لم أدْرِ مِنْ ظَرْفِها
أعجَبُ أم مِن ظَرفِ مُهديها

[1] – الملاب : طيب يشبه الزعفران .

[2] – ديوان السَّرى الرَّفَّاء ، ص ٤٥٩ .

قبابُ شمعٍ يتحامَى الدُّجى
مَجلِسَنا عند تلاليها
كأنَّها أغصانُ تِبرٍ بَدَت
زهرةُ نارٍ في أعاليها
أرواحُها تأكلُ أجسامَها
عمداً وتفنَى حين تُفنيها
سُقْمُها تضربُ أعناقَها
وَهْوَ بذاك الفعلِ يُحييها

أما سبط التعاويذى فيصور كما لو أن الشمع كان عزيزاً ، فعندما جاءته شمعةٌ – وليس شمعا – من بخيلٍ ، يتصور أنه كان يحترق معها ، يقول [1] :

وباخلٍ قدَّم لي شمعةً
وحالُه أحرقُ من حالِها
فما جرت من عينها دمعةٌ
إلاَّ ومن عينيه أمثالُها

ومن هنا اتضح كيف صوّر لنا الشعراء الشمع هديّة قيمة عندما يتداول بين أفراد المجتمع . كما اتضح أنه كان يقدّم فى الاحتفالات والمناسبات السارة كأعياد الميلاد بجانب استخدامه فى الإضاءة ولهذا وجدنا أبا الحسن على بن الفرات وزير المقتدر عندما ولى الوزارة أكثر من استخدام الشمع ابتهاجاً بهذه

[1] – ديوان سبط التعاويذى ، ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

المناسبة ، بل ويهدى كل من يدخل داره ويخرج منها ليلاً شمعة يقول آدم متز : [1] " ولمّا خُلِعَ على هذا الوزير خلع الوزارة زاد فى تلك اليوم ثمن الشمع قيراطاً فى كل منّ وزاد سعر القراطيس لكثرة استعماله لهما ، ولأنه كان من رسمه ألا يخرج أحدا من داره وقت العشاء إلاّ ومعه شمعة منوية ودرج منصورى ، وقد سُقِيَ فى داره فى ذلك اليوم والليلة أربعون ألف رطل ثلجاً ، وجرى رسمه مدة وزارته أن يعطى كلّ من يخرج من داره عند اصفرار الشمس شمعة " ، فنلاحظ من النص أنه استخدم الشمع بكثرة بالغة مما أدى إلى ارتفاع سعره .

ولا تتوقف فوائد الشمع عند الإضاءة أو التهادى بها فقط بل كثيراً ما تستعمل فى الزينة فأحياناً توضع فى طسوت نحاسية فتهتز فيها وتتمايل فتعطى بجانب إضاءتها منظراً جميلاً .

يقول أبو طالب المأمونى فى طست الشمع : [2]

وحديقــة تهتــز فيهــا دوحــةٌ
لــم ينمهــا تــرب ولا أمطــارُ
فصعيدها صفر ونامى غصنها
شــمعٌ ومــا قــد أثمرتــه نــارُ

والأجمل من هذا أن توضع هذه الشموع فى البرك الصناعية التى كانوا يتفننون فيها ، فيخرج عمود النار من وسط الماء ، يصور هذا أبو الفتح بن كشاجم يقول :

---

[1] – الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ1 / 82 .
[2] – يتيمة الدهر ، جـ4 / 173 .

بركةٌ صُفرٌ عمودها شمعٌ
تفيض ناراً من موضع الماء
تبكي إذا ما المقص خشّها
فرط حياء من الأخلاء
كأنّها عاشق مخايله
فيه بواد لمقلة الرائي
صفرة لون وذوب معتبة
ودمع حزن ، ونار أحشاء

أما أبو الفتح أحمد بن يوسف الكاتب فيصور اهتزازها وخيلاءها فوق صفحة الماء ، بالبدر الذي يتحرك مع الفلك يقول : [1]

وشمعةٌ وسط أيمن البرك
تميس في الماء ميس مرتبك
كأنّها البدر في السماء سرى
فحار في أوجه من الفلك

وكثيرا ما كانت تستخدم الشمعة كأداة من **أدوات اللهو والقصف والشراب** ، حيث كان يستعين بها السكارى في الليل لتضيء المكان الذي يشربون فيه ولا سيما الأديرة .

---

[1] - يتيمة الدهر ، جـ٤ / ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

وهذا السَّري الرفاء يصف لنا ليلة سكرَ فيها بقطربل وكيف استعان هو وندماؤه بالشمع لإضاءة الدير ، يقول : [1]

كستكَ الشبيبةُ رَيْعانَها
وأهدت لك الرَّاحُ رَيحانَها

فدُم للنَّديم على عهده
وغادِ المُدامَ ونُدمانَها [2]

فقد خلع الأُفقُ ثوبَ الدجى
كما نضت البيضُ أجفانَها [3]

وساقٍ يواجهني وجهه
فتجعله العين بستانها

يُتوِّجُ بالكأسِ كفُّ النديم
إذا نَظَّم الماءُ تيجانَها

فطوراً يُوشِّح بياقوتها
وطوراً يُرصِّعُ عِقيانَها [4]

رَمَيْتُ بأفراسها حلبة
من اللهو تُرهِجُ ميدانَها [5]

ودير شَغَفْتُ بغزلانه
فكِدتُ أُقبِّل صُلبانَها

---

[1] – يتيمة الدهر ، جـ٢ ، ص ١٧٢ ، الديوان ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

[2] – غاد : باكر .

[3] – البيض : السيوف . الأجفان مفردها جفْن : غمد السيف .

[4] – العقيان : الذهب الخالص .

[5] – تُرْهِجُ : تثير الغبار .

فلمّا تجلّى الليلُ فرْحتُه
بزوح تُحيّف جثمانَها
بشمعٍ أعيرَ قدودَ الرّماح
ومَزْجٍ ذُراها وألوانَها
غصونٌ من التّبرِ قد أزْهرتْ
لهيباً يُزيّنُ أفنانَها
فيا حُسنَ أرواحِها في الدُّجى
وقد أكلت فيه أبدانَها
سَكِرتُ بقُطْرُبُلِ ليلةً
لهوتُ فغازلتُ غِزلانَها
وأيُّ ليالي الهوى أحسنت
إليّ فأنكرتُ إحسانَها

وهذا شاعر آخر يسلِّط شعاع الشمعة الأصفر على كئوس الشراب مع لون الشراب ذاته فتتداخل الألوان حتى تصبح وكأنها ألوان الطيف ، يقول [1]

وصفراءَ تنشر من رأسها
ذوائب صفرٍ على المجلس
تُعمّ الندامى بها كسوةً
فكلُّ نديم بها مكتسي
تمازج مشروبهم رقةً
وتلقي شعاعاً على الأكؤس
تريك إذا حدّقت عينها
عيوناً من الزَّهرِ والنرجسِ

[1] – الأحاجي والألغاز الأدبية ، ص ٢٥٦ .

وشاعر آخر يصنع جواً بهيجاً عناصره الرقص والكأس والغناء والشمع مجسداً كل هذه العناصر ، يقول [1] :

أطربنا العود إلى أن غدا
مقامنا يرقص مع صحبه
فشمعنا قام على ساقه
وكأسنا دار على كعبه

أما السّري الرّفاء فينظم الشمع في منظومة من عدة عناصر اجتمعت فكوّنت ليلة حسنة . يقول وهو يمدح الوزير أبا محمد الحسن المهلبي ، ويصف ليلة شَرِبَ فيها على برك وفوّارات ، فلمّا أقبل الليل رُكِّزت له رماح عليها الشمع فأضاء الموضع وحسن [2] :

فَضَلَتْ ليالي القَصْفِ ليلتك التي
هي في المحاسن غادةٌ حسناءُ
رَقَّتْ غَياهِبُها ، فهنَّ غلائلٌ
وَسَخَتْ جنائبها ، فهنَّ رُخاءُ
وَصَفَتْ لك اللذّاتُ بين غرائبٍ
للعيش ، في أثنائهنّ صَفاءُ
بِرَكٌ تحلَّتْ بالكواكب أرضُها
فأرتْكَ وَجْهَ الأرضِ ، وهو سماءُ
رُفِعَتْ إلى الجوزاء فوّاراتُها
عُمُدًا ، يُصابُ بصَوْبِها الجوزاءُ [3]

---

[1] – خزانة الأدب : ابن حجة الحموي ، جـ٢ / ١٧٩ .
[2] – ديوان السّري الرّفاء ، ص ١٦ ، ١٧ .
[3] – الصوْب : المطر .

كانتْ تردُّ على الحَيا أعْطَافَه
لو لم يُملْ أعطافَهنّ حياءُ

مثلَ القنا الخَطِّيّ قَوَّمَ مَيْلَهُ
وجرَتْ عليه الفضّةُ البيضاءُ

حتى إذا انتشرت جلابيبُ الدُّجى
وتكاثفتْ من دونها الظَّلماءُ

فرَّجتَها بصحائحٍ إن تعتللْ
فلهنَّ من ضربِ الرِّقابِ شفاءُ

شمعاً حملتْ على الرِّماحِ رماحُه
فقدودُهنَّ وما حملن سواءُ

لقي النجومَ وقد طلعن بمثلها
وأعاد جنحَ الليلِ ، وهو ضَحاءُ

يا سيِّدَ الوزراءِ نِلْتَ من العُلا
والمجدِ ما يعيا به الوزراءُ

هي ليلةٌ ، لا زلتَ تَلْبَسُ مثلها
في نعمةٍ وُصِلَتْ بها السَّرّاءُ

أغنيتَ قوما ، حين هزَّ غناؤها
عطفَيك ، رُبَّ غِنىً حَداهُ غِناءُ

وقطعتَها ، والليلُ يصدعُ قلبَه
ضدّان : نارٌ تستنيرُ وماءُ

نِعمَ البريَّةُ في بقائك ، فلتدم
لهم بطولِ بقائك النَّعماءُ

وهكذا يتضح لنا من كل النماذج السابقة أن الشمعة كانت تستخدم لفوائد متعددة ، كالإضاءة والهدايا ، والزينة ، ومع اللهو والقصف والشراب .

الشمعة والألغاز :

الألغاز من فنون الشعر التي استحدثت في العصر العباســـي ، حيــث اتسعت الثقافة ، وتنوعت مصادرها ، وارتقى العقل العربي ، وتعددت الفرق الكلامية التي قامت على الجدل والأحاجي والمناظرات ، كل هذا شكّل أرضاً صالحة لنشأة الألغاز ، ليس في الشعر فقط ولكن في معظم مجالات المعرفــة فهناك ألغاز في النحو والإعراب [1] ، وهناك ألغاز في الفقه والفرائض [2] .

والشعر في النهاية مرآة لهذه الحياة العقلية الصاخبة فانتقلت الألغــاز إلى الشعر حتى أصبحت غرضاً من أغراضه المحدثة .

واللُّغز : مَيْلُك بالشيء عن وجهه ، والألغوزة بالضم : ما يُعَمَّى به، الجمع ألغاز ، وألغز كلامه : عَمَّى مراده [3] . فالألغــاز تــدور حــول عــدم التصريح بالشيء مع إعطاء بعض السمات والدلالات للمتلقي ، كي يتعــرّف عليه .

والشمعة كغيرها من أشياء كثيرة . كانت مصدراً لألغاز الشــعراء [4] ولكنّها بقيت لغزاً قريب الحل نظراً لما تحمله من دلالات تجسّد في النفــوس مثلاً حيًا للتضحية ، فيكفي أنها تحترق لتضيء للآخرين .

---

[1] – مثل : توجيه ملغزة الإعراب للرماني ، والألغاز النحوية لابن هشام .

[2] – انظر مقامات الحريري ، وبالذات : الطيبية ، المعرية ، القرضية التصيبية ، وغيرها من المقامات ، وانظر الأحاجي والألغاز الأدبية : عبــد الحــي كمــال ، ص ٦٥ ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـــ .

[3] – القاموس المحيط ، مادة (لغز) .

[4] – في كتاب الأحاجي والألغاز الأدبية ، جمع المؤلف أكثر من مائة شيء دارت حولهــا ألغاز شعرية .

والألغاز التى دارت حول الشمعة لابد أنها تعتمد على أوصاف الشمعة التى ذكرناها ، بحيث إذا ذكرت هذه الأوصاف حتى ولـو بطريقـة مُغشّـاة استطاع المتلقى أن يتعرف على الشمعة ، من هذه الأوصاف : لونها الأصفر، دقتها واعتدالها ، دموعها التى تعطيها القوة ، كاسية عارية ، حياتهـا بقطـع رأسها .

والشاعر فى العادة لا يعطى هذه السمات مرة واحدة ولكنه يتدرج مع المتلقى ، فكل بيت يحمل صفة أو أكثر حتى يتضح الدال فى النهاية .

فالميكالى يلغز ويسأل عن جسم دقيق كالشبح ، يعجب كل من ينظـر إليه ، أصفر اللون ، يبكى طوال الليل بجفن لا يعرف النـوم لنـار تحـرق أحشاءه . يقول [1] :

مـــا شـــبح يعجـــب مـــن رآه
صـــفرته تخبـــر عـــن ضـــناه
يبكـــى بجفـــن غائـــب كـــراه
أدمُعُـــه تزيـــد فـــى قـــواه
مُعـــذَب الليـــل إلـــى ضـــحاه
تلهب نـارُ الشّـوق فـى حشـاه

أما الشاعر أبو محمد عبد الله الخشاب فيلغز عن شىء أصفر اللـون صفرته ليست عرضاً لمرض ، لأنه لا يمرض لأن أصله فيه شـفاء للنـاس بالإضافة إلى أنها عارية كاسية فى نفس الوقت . يقول : [2]

[1] – ديوان الميكالى ، ص ٢٢٧ .
[2] – معجم الأدباء ، جـ٣ / ٤٤٦ .

صفراءُ لا من سقم مسّها
كيف وكانت أمّها الشافية

عريانةٌ ، باطنها مُكتسى
فأعجب لها كاسيةً عارية

أما أبو الحسن بن أبي ياس ، فيلغز عن شيء ذي منزلة لأنه لا يكون في العادة إلاّ عند الملوك ومن اقترب منهم ، دقيقة الصنع ، زيادة نورها فيه نقصان عمرها ، تبكي ليضحك ظلام الليل ، لا تستيقظ إلاّ بقص شعرها . يقول [1] :

وهيفاءُ من ندماء الملوكِ
تزيد فينقص من قدرها

إذا ضحكت جنح داجي الظلام
بكت فجرى الدمع من نحرها

فإن نعست للكرى نعسةً
فإيقاظها القصُّ من شعرها

ويأتي الوأواء الدمشقي فيلغز عن شيء من ندماء الملوك . أصفر كالعاشق ، تكيد الظلام ويكيدها ، فيفنيان سويا . يقول [2] :

وهيفاءَ من نُدماء الملو
ك صفراء كالعاشق المُدنفِ

تكيد الظلام كما كادها
فتفنى وتفنيه في موقفِ

---

[1] – يتيمة الدهر ، جـ١ / ٤٢٥ .

[2] – ديوان الوأواء الدمشقي ، ص ١٤٩ ، والأبيات منسوبة إلى كشاجم في ديوانه ، ص ٤٥٧ .

ثم يقدمها الوأواء في زى آخر فيلغز عن شيء دقيق الخصر ، يظهر في الليل كالسهم المضيء ، تعاقب نفسها بنفسها ، صحتها في قطع رأسها ومرضها في تركه صحيحاً .

يقول الوأواء [1] :

ومخطوفةِ الخصرِ لمّا بدت
لدى الليل عاينتُ سهماً يُضي
تعاقبُ من نفسها نفسها
فتقضي الأمورَ كما تقتضي
وتمرض إن تركوا رأسها
وإن قطعوا الرأس لم تمرضِ

وبعض الشعراء يلغز فيبدأ بالدموع المتساقطة والتي هي سبب القوة ، ولا تحيا إلا بقطع رأسها . يقول [2] :

وباكيةٍ على الدجى أسفاً
يقطر منها أدمعٌ صُفُر
تحيا إذا ما رأسها قطعت
وهي بالليل أنجم صفرُ

أما السَّرى الرفاء فيلغز متلاعباً بالأوصاف والصفات فهو يسأل عن باكية ، بصيرة ، ضريرة ، إذا أردنا أن نصلحها فلابد من إفسادها يقول :

---

[1] – ديوان الوأواء ، ص ١٣٧ .

[2] – نزهة الأبصار في محاسن الأشعار للعابي ، ص ٤٨١ .

وباكيـــــةٍ ليلهـــــا كلّـــــة
تحـــاكي الصــــباحَ بمصـــــباحها
بصـــــيرةُ ليــــلٍ ، ولكنّهـــــا
ضــــريرتة عنـــد إصـــــلاحها
تجـــزُّ لإصـــــلاحها رأســــها
فإفســـــادها عنـــد إصـــــلاحها[1]

وهكذا أصبحت الشمعة موضوعاً خصباً لـدى الشـعراء فتناولوهـا بالوصف والتدقيق والتأمل ، ووصلوا بها إلى أن جعلوها لغزاً يشغل قـرائح المتلقين ويهز مشاعرهم أيضاً .

[1] – ديوان السَّري الرَّفاء ، ص ١٢٩ .

الفصل الثانى

الشمعة فى وجدان الشعراء

لم تتوقف أهمية الشمعة على أهميتها المادية فقط ، كالتى ذكرناها فى الإضاءة والتهادى والزينة والشراب وغيرها ، بل تخطت هـذا إلـى جانـب معنوى هو الأهم عند الشعراء . فعندما تأملوها وجدوها تحيا وتحترق وتموت، تصفرّ وتذبل ومع هذا تعطى وتضىء وكأنّها جسد حىّ تدب فيه الحياة .

ومن هنا وجدنا الشعراء يخلعون عليها مشاعرهم والتى عادة ما تكون مؤلمة حزينة ، إنهم يعتبرونها عنصراً حياً تشعر بما يشعرون وتحـس بمـا يحسون فينتابها ما ينتابهم فتبكى وتمرض فى صمت وبدون ألم ومع هذا تظهر فى شموخ وكبرياء . إنها علاقة وطيدة كتلك التـى ارتـبط فيهـا الشـعراء الرومانسيون بعناصر الطبيعة فى العصر الحديث .

فإذا توقفنا مع الشعراء الذين أسقطوا مشاعرهم على الشمعة ، لوجدنا السّرى الرفاء (ت ٣٦٢) الشاعر المشهور الذى كان يَرْفو ويطرز ولكن مهنته من الرفو لم توفر له حياة كريمة ولا استطاع بشعره أن يرتفع إلى حياة أرقى فظل يشتكى الفقر من جهة ويشمخ بارتفاع كعبه فى الشعر من ناحية أخرى [1] يقول مثلاً مصوراً فقره الشديد [2] :

لى منزل كوجار الضـبّ أنزلـه
ضنك ، تقارب قطراه فقد ضـاقا
أراه قالب جسـمى حـين أدخلـه
فما أمُـدُّ بـه رجـلا ولا سـاقا
فلست أعتـدُّه رزقـا أسـرُّ بـه
وهل تُعَدُّ سُجون النـاس أرزاقـا
أناشـد الغيـثَ أن يجتـازه أبـداً
ولامع البرق أن يغشـاه إحراقـا

---

[1] – انظر : معجم الأدباء ، جـ٣ / ٣٥٩ وما بعدها .

[2] – ديوان السّرى الرفاء : ص ٣٣٧ .

ويقول في قصيدة أخرى مفتخراً بشعره مدعيا أن الغير يتكسب به – يقصد الخالدين عندما اتهمها بسرقة شعره – وهو لم يحصل على شيء من وراء هذا الشعر ، يقول [1] :

أُسَـــلِّمُ للأيَّـــام أم لا أُسَـــلِّم
وأحمـــلُ ظُلْـــمَ الـــدهر أم أتظلَّـــمُ

بكيت على شِعرٍ أُصيبَ كما بكـى
على مالـكٍ لمَّـا أُصـيبَ مُـتمّم

تعزَّيْتُ عن نيل الثـراءِ بفضلـه
وما مُعْدِماً ، أُثْرِي من الفضلِ مُعْدِمُ

أجانـب فيـه لـذَّتي ومكاسـبي
وأهجر فيه النَّـومَ والنـاسُ نُـوَّمُ

إذا ما المعاني أومضت لي بُرُوقُها
وساعدها وَشْـيُ الكَـلامِ المُنَمْـنَمُ

رأيتُ التهاب الحَلْي في جيد غادةٍ
ترائبهـــا مـــن تحتـــه تتبسَّـــمُ

نظام من السحر الحـلال مُخيِّـلٌ
لسـامعه أنَّ الكواكـبَ تُـنْظَمُ

تحلَّى به قـوم سـواي ، فكـذَّبوا
وهل يلدُ الشُّهُبَ الملامـح أَلاهُـمْ

أيُدْفَع عن حَلْي البلاغـة مُعْـربٌ
ويَرْفُلُ في وَشْي الفصاحَةِ أعْجَـمُ

---

[1] – الديوان : ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

رجل هذا حاله ، فقر مادى وتدنٍ اجتماعى من ناحية وشموخ شعرى من ناحية أخرى ، ماذا يقول هذا الرجل عندما يصف الشمعة [1] . لابـد أنـه سيكسبها سمات تعبر عن حالته النفسية والتى هى انعكاس لظرفه الاجتماعى . يقول فى إحدى مقطوعاته التى يصف فيها شمعة [2] :

وشمعةٍ فـى يـد الغـلام حكـت
عُنُـقَ ظلـيم بغيـرِ منقـار
تبكى ، إذا نارُ شوقها اضـطرمت
بدمع تبـرٍ مـن الأسـى جـارى
كأنّهـا نخلـةٌ بـلا سَـعَفٍ
تحمـلُ أُترجّـةً مـن النـار

فلماذا تخيّر السّرىّ الرفاء لشمعته مماثلة عنق الظليم الذى بغير منقار أو النخلة التى بغير سَعَفٍ ؛ إنه الشموخ المعنوى الذى يحس به السّرىّ وأراد أن يخلعه على شمعته ، فإن من ينظر إلى عنق النعامة يلاحظ كيف يُرفَع فى كبرياء وشمم وكذلك النخلة التى تضرب جذورها فى الأرض وترتفع شامخة إلى السماء ، حتى الدموع التى تسقطها هذه الشمعة ليست دموعا عادية ولكنها من التبر الأصفر ، فالشموخ ليس شموخ الشمعة على الحقيقة ولكنه الشـموخ الذى يحس به السّرىّ ويريد أن يعترف المجتمع به ، وقد ساعده واقع الشمعة

[1] – وصف السّرى الرفاء الشمعة أكثر من سبع مرات ، انظر الديوان الصـفحات ، ١٦ ، ١٧ ، ٦٧ ، ١٤٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٣١٥ ، ٣٨٤ ، ٤٥٢ .

[2] – الديوان ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، والظليم ذكر النعامة .

على ذلك . يقول أحد الدارسين محللا هذه الصورة [1] : " وقد أضفى الشاعر من خلال دلالات " الإشراق " : " نار " ، " اضطرمت " ، " تبر " ، " أترجّة " مناخ إضاءة وتوهج يتناسب مع واقع الشمعة المضيء .

وإشارة الشاعر إلى " الظليم " ، وهو : " الذكر من النعام " ، وإلى النخلة في تشبيه " الشمعة " بهما إيحاء بحالة الشموخ " إحساساً يتغلغل في أعماق الشاعر ويتمنى تحقيقه وسط مناخ من " الإحباط " و " الدونية " نتيجة للفقر ، ويأتي ذكر " الأترجة " التي تعلو " النخلة " تأكيداً على عامل " الإضاءة " لهذا الشموخ الذي يأخذ بعده النفسي من إحساس الشاعر " بخمول " الذكر ، وخمول الواقع الاجتماعي والفني إحساساً محبطاً " .

واستمر هذا حال السّريّ حتى بعد أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة ومدحه وأقام بحضرته فاشتهر وبعد صيته ، ولمّا مات سيف الدولة انتقل السّري إلى بغداد ومدح الوزير المُهلّبي وغيره من الأعيان والصدور فارتفق وارتزق ، وحَسُنت حالهُ وسار شعره في الآفاق " [2] . إلاّ أنه بقي أسير مهنته وعداوة الخالديين له مع مكانتهما ، ووجود الشعراء الكبار أمثال المتنبي. ولذلك وجدناه يستغل الشمعة فيخلع عليها ما يتمناه من شموخ .

* * *

ويأتي محمدُ بن هانئ الأندلسي (ت ٣٦٢هـ) والذي كانت منزلته عند المغاربة كمنزلة المتنبي عند المشارقة " نال حظاً واسعاً من علوم الأدب وفنونه وبرزَ في الشعر فلم يُباره في حلبته مُبَارٍ ، ولم يَشُقّ غُبَارَهُ لاحق "

---

[1] – شعراء من العصر العباسي الثاني : د. عبد الله أحمد باقازي ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

[2] – معجم الأدباء ، جـ٣ ، ص ٣٦١ .

وهو الذى أسف على موته المعز لدين الله أسفا عظيما وقال هذا الـذى كنـا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك [1] .

وبرغم هذا الفضل إلاّ أنه كان متهماً بالفلسفة بسلك فى أقواله وأشعاره مسلك المعرّى فأزعجه أهل الأندلس واضطروه إلى الخروج من وطنـه ... فخرج متنقلاً فى البلاد فإلى (عدوة) المغرب ومنها إلى الديار المصـرية ، ويحاول أن يعود إلى بلده إشبيلية مرة أخرى ، فلما بلغ (برقه) وهـو فـى طريق عودته يجدونه مخنوقاً ولم يعرف سبب ذلك ولا فاعله [2] .

رجل هذا فضله لم يستوعبه مكانه وزمانه فخرج هائماً على وجهه بين البلدان تاركا وطنه وتاركا أهله وعياله فى هذا الوطن عيشة مضطربة حزينة. ولهذا وجدناه يتجه إلى الشمعة يحاول أن يعقد مشابهة بينها وبينه يقول [3] :

لقد أشبهتنى شمعة فـى صـبابتى
وفى هول ما ألقـى ومـا أتوقّـعُ
نحولٌ وحزنٌ فى فنـاء ووحـدةٍ
وتسهيدُ عينٍ واصـفرارٌ وأدمـعُ

فالشاعر عاش بين حالتين يتصارعان فى نفسه : حالة الشوق إلى أهله ووطنه وعياله وحالة الخوف من هول ما ينتظره من موت محقق . فالحالـة الأولى حالة شوق قد يقتله والشوق عطاء ، والحالة الثانية مصير القتل الـذى ينتظره والقتل فناء . وما بين العطاء والفناء تتنابه عوارض القلق من وحـدة وحزن واصفرار ونحول .

---

[1] – نفسه ، جـ٥ ، ص ٤٦٨ وما بعدها .
[2] – معجم الأدباء ، جـ٥ ، ٤٦٩ .
[3] – نفسه ، جـ ٥ ، ص ٤٧٥ .

والشاعر قبلَ أراد أن يعطى ، فالفلسفة عطاء ، ولكنّ عطاءَه تحطم على أعتاب مجتمعه الذى لم يكن مؤهلاً لتلقى هذا العطـاء ، فطـرد وهـدد بالقتل، بل تسببوا فى قتل عقله ، أليس فى اتجاهه إلى السكر تحـت الضـغط النفسى قتل للعقل ؟ لقد قيل : " فلمّا بلغ بركّة نزل على أحد أعيانهـا للرّاحـة فأضافه أيّاما فخرج ليلة سكرانَ من بيته فلما أصبح الناس وجدوه مُلْقـى فـى سانية من سواقى البلد مخنوقاً بتكّة سراويله " [1] .

إنّه كالشمعة تماماً ، عطاء يؤدى إلى الفناء الحتمى ، وبرغم أن هـذه سمات الشمعة إلاّ أنه قلّبَ التشبيه فيؤكد أن الشمعة تشبهه وكأنّ مصيره محدد ومكتوب ومتوقع من البداية . ولكن قبل المصير لابد من المـرور بمراحـل مشتركة فالشمعة لابد أن تحزن وتصفرّ وتنحل وتسهر الليل ، وهو كان كذلك. إن الساعات التى يقضيها الإنسان فى انتظار مصيره المحتوم هو شىء أشـد من الموت نفسه ، لأنها لحظات يعيش فيها الإنسان الموت بأحاسيسه ومشاعره أما الموت فى حد ذاته فهو يقضى على كل هذه الأحاسيس ، ومن هنا كانـت الشمعة هى التى تشبهه لأنها اعتادت هذا المصير الذى يأتى بـدون لحظـات خوف وقلق أما هو فيعيش الموت قبل الموت . ولكنه فى النهاية كان شـمعة وسيظل شمعة ربما تضىء فى زمان ومكان مختلفين .

* * *

أما ابن الأنبارى أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب (ت ٣٦٧هـ) فله مع الشمعة شأن آخر ، يتضح بعد أن نعرف أن ابن الأنبارى هـذا قـال قصيدة فى رثاء الوزير ابن بقية الذى قتله عضد الدولة حيث طرحه أمام الفيلة

---

[1] - معجم الأدباء ، جـ٥ ، ٤٦٩ .

لتقطه ثم صلب عند داره بباب الطاق . " هذه القصيدة لم يسمع فى مصلوب أفضل منها ، حتى عندما وصل خبرها إلى عضد الدولة ، وأشتدت بين يديه فتمنى أن يكون هو المصلوب دونه ، يقول منها " [1]

علو فى الحياة وفى الممات
لحقٌ أنت إحدى المعجزات
كأنّ الناس حولك حين قاموا
وفود نداك أيام الصّلات
كأنّك قائمٌ فيهم خطيباً
وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاء
كمدهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن
يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا
عن الأكفان ثوب المكرمات

يرثيه ابن الأنبارى متحدثا مشاعر خوفه من عضد الدولة منتصرا على نفسه ، منتصراً لمبادئه ويفر عن عضد الدولة ، ولكن فصول الرواية لابد أن تتم حيث يمثل ابن الأنبارى أمام عضد الدولة بعد أن أعطاه الأمان – ويسأله عضد الدولة : ما الذى حملك على مرثية عدوى ؟ فقال : حقوق

[1] – نكت الهميان فى نكت العميان : لصلاح الدين الصفدى ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، المطبعة الجمالية فى مصر ١٩١١م ، وانظر وفيات الأعيان ، جـ ٥ / ١٢٠ / ١٢١ .

سلفت، وأيام مضت ، فجاش الحزن فى قلبى فرثيت ، فقال : هل يحضرك شيء فى الشموع ؟ والشموع تزهر بين يديه " ، إنها لحظة حاسمة فى حياة ابن الأنبارى ، إنه ما زال فى موضع المساءلة ، وما زال عضد الدولة لم يتخذ قراراً بشأنه ، إن الشمعة ربما هى التى ستحدد مصيره إنه لا يريد أن يصفها بالذموع والاصفرار والذحول والفناء حتى لا يربط مصيره بهذه الصفات . فلابد أن يبحث لها عن صفات أخرى تعطى له الأمل فى الحياة ، وسرعان ما تسعفه قريحته فيقول :

كأنّ الشموع وقد أظهرت
من النار فى كل رأس سنانا
أصابع أعدائك الخائفين
تضرّع تطلب منك الأمانا

لقد ترك ابن الأنبارى جميع صفات الشمعة المعروفة ، ونظر إلى شعلتها التى تهتز ببطء ، فأخذ هذه الشعلات المهتزة وشبه بها الأصابع الخائفة التى تهتز وتتضرّع وتطلب الأمانا ، إن هذه الصورة الجديدة للشمعة حددت الطريق أمام قرار الأمير ، إذ ليس أمامه إلاّ أن يصدر قرار عفو ، ويكمل ابن خلكان : فلما سمعها – أى الأمير عضد الدولة – خلع عليه ، وأعطاه فرساً وبدره " .

إن ابن الأنبارى قد خلع مشاعره المروّعة على الشمعة فاهتزت لاهتزازه واهتز معها قلب عضد الدولة .

" – وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ .

ولعل تحليل الدكتور عبد الله باقازى لهذه الصـــورة يزيـــدها تجليـــة وجمالا . يقول [1] : " ولعلنا ونحن نستحضر مشاهد المأساة المروعة ، وفصول فرار ابن الأنبارى وعودته ، ووفائه لابن بقية ، لا نعدم الإشارة إلى ذكاء ابن الأنبارى ومحاولته الذكية الناجحة فى استغلال اللحظة ، حيث طلب إليه عضد الدولة أن يقول شيئاً فى الشموع " وهى تزهر بين يديه " فانبرى ابن الأنبارى يستغل " اللحظة " لصالحه بذكاء واضح حتى يمهد لرضا عضد الدولة عنه .

كـــأن الشـــموع وقـــد أظهـــرت
من النار فى كـــل رأس ســـنانا

تضىء " الشموع " فى البيت طريق " الأمل " للشاعر المهدد من قبـــل عضد الدولة وهو يواجهه ويخشى على مصيره ، وفى وسط عتمة " اللحظة " التى يعيشها تأتى الشموع هنا " وميض أمل " يلهث داخل عتمة اللحظة التـــى يعيشها الشاعر .

أما فى البيت الثانى :

أصـــــابع أعـــــدائك الخـــــائفين
تضـرّع تطلـــب منـــك الأمانـــا

فإن كلمة " أصابع " وقد تلبست حالة الشموع الدالة على الأمل المنجى للشاعر الخائف فإن الأصابع لتتخذ بالإضافة إلى ذلك وضعها البشرى مـــن تكوين اليد التى تمتد طالبة الصفح والغفران من قبل الشاعر إلى عضد الدولة، وتتضافر كلمة " الشموع " و " الأصابع " فى رسم عالم النجاة والعفـــو مـــن

---

[1] – شعراء من العصر العباسى الثانى ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

خلال " الإضاءة " الدالة على الأمل التي تطرحها كلمة " الشموع " ودلالـة " طلب الصفح " التي تطرحها الأصابع ، إضافة إلى ان الأصـابع تمتـد فـي التعبير عن حالة العفو بتشكلها البشرى وكأنها " يد " تمتد مصافحة ورامـزة للسلام والمودة ومد صفحة جديدة من الوئام والسلام " .

وهكذا نجد أن شمعة ابن الأنبارى والتي جعلها شموعاً ليكثـر مـن الأصابع المتضرعة – أعطته أكثر من العفو ، أعطته : العفو وخلعا وفرسـاً وبدرة .

ولكن هل أخذ ابن الأنبارى العفو وصمت بعدها ؟ لم يحـدث هـذا . يقول ابن خلكان : [١] " ولم يزل ابن بقية مصلوباً إلى أن توفي عضد الدولة – فأنزل من الخشبة ، ودفن في موضعه ، فقال أبو الحسن ابن الأنبارى :

لم يلحقوا بك عاراً إذ صَلَبْتَ بلـى
باءوا بإثمك ثم اسـترجعوا نـدما
وأيقنوا أنهم فـي فعلهـم غلطـوا
وأنّهم نصبوا مـن سـؤدد علمـا
فاسترجعوك وواروا طـود عـلا
بدفنه دفنـوا الأفضـال والكرمـا
لئن بليت فـلا يبلـى نـداك ولا
ينسى ، وكم هالك ينسى إذا عـدما
تقاسم الناس حسن الذكر فيك كمـا
ما زال مالك بين النـاس منقسـما

[١] – وفيات الأعيان : جـ٥ ، ص ١٢١ .

وهكذا نجد أن شمعة ابن الأنباري لم تتسبب في عتق رقبته فقط ، بل جعلت ذكراه مضيئة في كتب التاريخ لتدلل على رجل كان أحرص ما يكون على المبادئ ، وكان مثلا حيّا للوفاء ، في عصر غاض فيه الوفاء وانعدم الأوفياء ، ألم يكن أحد العدول في بغداد كما قال الصفدي [1] :

• • •

ويأتي البيغاء أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي (ت ٣٩٨) ، ليجعل من الشمعة رمزاً للموت والبلى ، لنقف على نتف من حياته لنعرف لماذا نظر إلى الشمعة هذه النظرة ؟

البيغاء شاعر من شعراء سيف الدولة حيث مكث في بلاطه مدة طويلة تزيد عن عشرين عاماً . يقول الثعالبي : " وكان في عنفوان أمره وريعان شبابه متصلاً بسيف الدولة مقيماً في جملته ، ثم تنقلت به بعد وفاة صاحبه الأحوال في وروده الموصل وبغداد ومنادمته بهما الملوك والرؤساء ، وإخفاقه مرة وإنجاحه أخرى " [2] . فلقد لازم الشاعر الأمير الحمداني طوال حكمه ، ونعم بصلاته العميمة ، وعطاياه الجزيلة ، فتبدل حاله من فقر إلى غنى ، ومن ضيق يد إلى سعة في العيش وخفض في الحياة ، ولولا علمه وأدبه وشعره ما وصل إلى هذه المنزلة في بلاط سيف الدولة . يقول الثعالبي عنه : " نجم الآفاق وشمامة الشام والعراق ، وظرف الظرف ، وينبوع اللطف ، وأحد أفراد الدهر في النظم والنثر . له كلام بلا مداد ، بل نظام من الياقوت ، بل حب الغمام " [3] .

---

[1] – نكت الهميان ، ص ٢٧٢ .

[2] – يتيمة الدهر للثعالبي ، جـ١ / ٢٣٦ .

[3] – نفس الصحيفة .

ولكن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة فسرعان ما يموت سيف الدولة سنة ٣٥٦هـ فتنقلب الحياة على البيغاء فينتقل من بلاط إلى آخر ثم ينـزوى بعيداً عن الحياة فى آخر حياته يقول الثعالبى [١] " وآخر ما بلغنى من خبره ما سمعت الأمير أبا الفضل عبد الله بن أحمد الميكالى يورده من ذكر التقائـه معه عند صدوره من الحج وحصوله فى بغداد فى سنة ٣٩٠هـ ، ورؤيته بها شيخاً عالى السن ، متطاول الأمر ، نظيف اللبسة ، بهى الركبة ، مليح اللثغة، ظريف الجملة ، قد أخذت الأيام من جسمه وقوته ولم تأخذ من ظرفه وأدبـه ... ولست أدرى ما فعل الدهر به " .

ولكن يبدو أن الشاعر قد ساءت حاله فى أواخر حياته ، وهو يتبـرم من أبناء زمانه ، ويشكو من سوء طباعهم فيقول : [٢]

أكـلُّ ومـيض بارقـة كـذوبُ
أما فى الـدهر شـيء لا يريـبُ

تشـابهت الطبـاع فـلا دنـيء
يحـن إلـى الثنـاء ولا حسـيبُ

وشاع البخل فى الأشـياء حتـى
يكـاد يشـح بـالريح الهبـوبُ

وكيف أخصُّ باسم العيـب شـيئا
وأكثـر مـا تشـاهده معيـبُ

---

[١] - يتيمة الدهر جـ ١ ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

[٢] - شعر البيغاء : دراسة وتحقيق د. مسعود محمد عبد الجابر ، المقدمـة ، ص ١٦ ، ص ٤٥ ، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة – عمـان ، الأردن ، الطبعـة الأولى ١٩٨٣م .

وأصاب الشاعر الفقر وعضه الدهر ، أشار إلى ذلك بوضوح خلال مدحه لعميد الجيوش الحسن بن أبي جعفر الذي استنابه بهاء الدولة بن عضد الدولة على العراق فقدمها سنة ٣٩٦ ، فاستغاث به الشاعر وقال : [١]

سألت زماني بمن أستغيث
فقال استغثْ بعميد الجيوش
فناديت مالي به حرمةٌ
فجاوب حوشيتَ من ذا وحوشي
رجاؤك إياه يُدنيك منه
ولو كنت بالصين أو بالعريش
تبيت بي داري وفرّ العبيـ
ـدُ وأودت ثيابي وبعت فروشي
وكنت أُلقَّبُ بالببغاء
قديما فقد مزّق الدهر ريشي
وكان غذائي نقيُّ الأرُزّ
فها أنا مُقتنعٌ بالحشيش

رجل هذا حاله تغيرت عليه أحوال وأحوال فمن بحبوحة في العيش في الشباب إلى فقر وضنك وضيق في المشيب ، وهل يقاوم الفقر جسم واهن انسحب عليه من السنوات الكثير . إن الموت هو الراحة فلتتعجله وللسر من خلاله الأشياء . وهنا تبرز شمعة الببغاء ملونة بكل ألوان الموت والفناء

[١] – شعر الببغاء ، ص ١٧ ، ص ١١١ .

يصفها الببغاء لا ليشحنها بمشاعره وأحاسيسه ولكنه يصفها من زاوية معتمة . يقول : [1]

وصفر كأطراف العوالي قدودها
قيام على أعلى كراسٍ من الصفْر
تلبسْن من شمس الأصيل غلائلاً
فأشرقن في الظلماء بالخلع الصفْر
عرائس يجلوها الدجى لمماتها
وتحيا إذا أذرت دموعاً من التبْر
إذا ضربت أعناقها في رضا الدجى
أعرته من أنوارها خلع الفجر
تبكي على أحشائها بجسومها
فأدمُعُها أجسامها أبدا تجرى
علاها ضياءٌ عامل في حياتها
كما تعمل الأيامُ في قصر العُمْر

ويعلق الدكتور باقازى على هذه اللوحة فيقول : [2] " والشمعة هنا تجسيد " للنهاية والتآكل السريع ، ومغادرة عالم الحياة ، وهو الشعور الذى ما فتئ يسيطر على مشاعر الشاعر .. إن اللون الأصفر الذى سيطر على مجريات المقطوعة الشعرية يعمق من الإحساس بهذه النهاية " وصفر كأطراف العوالي " ، " على أعلى كراس من الصفر " ، " بالخلع الصفر " كما أنّ

---

[1] - شعر الببغاء ، ص ١٠٠ .
[2] - شعراء من العصر العباسي الثاني ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

دلالات " الموت " التي ظهرت في المقطوعة تأكيد آخر على الإحساس بهذه النهاية .. " يجلوها الدجى لمماتها " ، " إذا ضربت أعناقها في رضا الدجى " كما أن لفظة " دجى " ، و " الأصيل " تعمق من الإحساس بالنهاية في المقطوعة من خلال : " يجلوها الدجى " ، شمس الأصيل " .

كما أن قافية المقطوعة " الرائية " المكسورة الموحية بالاضطراب والانكسار المفضي إلى النهاية إيحاء بالإحساس بالنهاية .

إن الببغاء خلع على الشمعة أعراض النهايات ، فالشمعة بداية إشراقها هي نفسها بداية غروبها . هي عروس ولكنها دامعة ، هي التي تضيء وتجعل من الليل فجراً ، ولكن بضرب العنق ، إن ضياءها يعجل بحياتها ، كما تعمل الأيام في قصر العمر ، وقد عاش الببغاء الكثير ، أشرق وأضاء ، ولكنه بكى أيضاً ، استهلكت الأيام من حياته الكثير ولم يبق من عمره إلاّ الباقي من عمر الشمعة ، إنه أصبح على مشارف النهايات إنه شمعة ، سيفنى حتما ، حتى ولو عاش فترة من حياته على كراس من الصفر . مثل الشمعة التي وصفها .

• • •

أما أبو العلاء المعرى أحمد بن عبد الله بن سليمان (ت ٤٤٩ هـ) ، فيجعل من نفسه شمعة لا في أنها تضيء للآخرين ، ولكن لأنها مثال على التجلّد والصبر إنها رمز القوة والتحمل ، وهل هناك أقوى من محترق يقف مصلوب العود مرفوع الجبين ، فالشمعة لا تعرف السقوط ، فهي عندها طاقة على الثبات والاعتدال برغم أنها في طريقها إلى الاحتضار ، إنها رمز العزة والشموخ وهل كان أبو العلاء إلاّ عزيز النفس شامخاً . ألم يدفعه شموخه ورضاه بقدره إلى القول " أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر " [١] .

---

[١] – معجم الأدباء ، جـ١ ، ٤١٠ .

موافقه مع الإحساس بالذات والتحدى كثيرة " رحل إلى بغداد ليبحث عن العلم والعلماء " ، " وقصد أبا الحسن على بن عيسى الرّبَعى النحوى ليقرأ عليه فلما دخل عليه قال : ليصعد الأسطبل (والاسطبل . فى لغة أهل الشام . الأعمى) ، فخرج مغضباً ولم يعد إليه " [1] ، لقد رفض أن يتعلم على يد إنسان لا يحترم الإنسان .

ودخل على المرتضى أبى القاسم ، فعثر برجل ، فقال من هذا الكلب ، فقال أبو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً فقربه المرتضى وأدناه واختبره ، فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء ، فأقبل عليه إقبالاً كثيرا. وكان المعرى يتعصب لأبى الطيب كثيرا ويفضله على بشار وأبى نواس وأبى تمام ، والمرتضى يبغضه ويتعصب عليه فجرى يوما ذكره فتنقصه المرتضى وجعل يتتبع عيوبه ، فقال المعرى : لو لم يكن للمتنبى من الشعر إلاّ قولـه :

لك يا منازل فى القلوب منازل

لكفاه فضلاً وشرفا . فغضب المرتضى وأمر به فسحب برجله وأخرج من مجلسه . وقال لمن بحضرته : أتدرون أى شىء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة ، فإن لأبى الطيب ما هو أجود منها ولم يذكرها ، فقيل السيد النقيب أعرف . فقال أراد قوله :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص

فهى الشهادة لى بأنى كامل [2]

---

[1] – نكت الهميان ، ص ١٠٣ .

[2] – نفسه .

أرأينا جرأة أبي العلاء في قول الحق حتى في وجه من أدناه وأكرمه ، إنه جاهر بالحق مع علمه بخيبة أمل متوقعة . إنه شموخ المبادئ وارتفاع النفس . ويعود أبو العلاء إلى معرته مرة أخرى ليعيش رهين محبسيه : المنزل ، والعمى ولكن بإرادته ، وبعد أن تزود بكتب كانت موقوفة بطرابلس، وبعد أن سمع في الفلسفة من راهب بدير في اللاذقية " [1] .

قلل احتياجاته من الدنيا فزاد شموخه فيها ، لم يربط حياته بأسباب بشر فعاش بفقره فوق البشر حتى " أن المستنصر صاحب مصر بذل لأبي العلاء المعري ما ببيت المال بالمعرّة من الحلال فلم يقبل منه شيئا . وقال :

لا أطلب الأرزاق والمولى يفيض عليّ رزقي
إن أعطَ بعض القوت أعلم أنّ ذلك فوق حقي [2] .

إن أبا العلاء يستكثر على نفسه من القوت أقل القليل حتى يوفرّ لنفسه من العزة والكرامة والمجد الكثير . فحقق معادلة التفوق على عصره فجحده جهال عصره واتهموه بالزندقة والإلحاد . يقول الصفدي : " وكان يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصدا لهلاكه ، وإيثاراً لإتلاف نفسه " [3] كان يحزن لأفعالهم ، ولكنه لم يتوقف عن العطاء ، أصرّ على مقومات التفوق فأتى بالعجب العجاب، بالجديد في كل شيء في الفكر والفلسفة ، في الشعر والنثر جاء بشيء لم يألفه عصره ، فصنع ما يشبه الصدمة في هذا العصر ، لقد كان

---

[1] – نكت الهميان ، ص ١٠٣ .

[2] – نفسه ، ص ١٠٥ .

[3] – نفسه .

متجاوزا زمانه بمسافات طويلة فاختلف عليه أهل زمانـه ، يقـول يـاقوت : " والناس فى أبى العلاء مختلفون ، فمنهم من يقول كان زنديقا ، ومنهم مـن يقول: كان زاهداً عابدا مُتنقِّلاً ، يأخذ نفسه بالرِّيَاضة ، والخشُونة ، والقناعـة باليسير ، والإعراض عن أعراض الدُّنيا " [1] . ويعـيش أبـو العـلاء فـوق الطرفين كنجم متألق ، يضيء للآخرين مع أنه لا يرى . حتى بعد أن سـعى أعداؤه فى قتله وهلاكه ازداد شموخه بثقته المطلقة فى الله .

ولنتابع هذا الخبر الذى قد يصل إلى حد الخيال ، " وقد وشى وزيـر محمود بن صالح صاحب حلب إليه ، بأن المعرى زنـديق لا يـرى إفسـاد الصور ، ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل ، فأمر محمود بحمله إليـه وبعث خمسين فارساً ليحملوه ، فأنزلهم أبو العلاء دار الضيافة ، فدخل عليـه عمه مسلم بن سليمان ، وقال : يا ابن أخى ، قد نزلت بنا هذه الحادثة ، الملك محمود بطلبك ، فإن مذهبك عجزنا ، وإن أسلمناك كان عاراً علينا عند ذوى الذمام ، ويركب نتوخاً الذلُّ والعارُ . فقال : هوّن عليك يا عم فلا بأس علينا ، فلى سلطان يذب عنىّ ، ثم قام فاغتسل وصلى إلى نصف الليـل . ثـم قـال لغلامه انظر إلى المريخ أين هو ؟ قال : فى منزلة كذا وكـذا ، قـال زنـه واضرب تحته وتداً وشد فى رجلى خيطا واربطه إلى الوتد ، ففعل غلامه ذلك . فسمعناه وهو يقول : " يا قديم الأزل ، يا علة العلل ، يا صانع المخلوقات ، وموجد الموجودات ، أنا فى عزك الذى لا يرام ، وكنفك الـذى لا يضـام ، الضيوف الضيوف ، الوزير الوزير . ثم ذكر كلمات لا نفهـم . وإذا بهـزة عظيمة ، فسئل عنها : فقيل : وقعت الدار على الضيوف الذين كانوا بها فقتلت

---

[1] – معجم الأدباء ، جـ١ ، ص ٤١٦ .

الخمسين ، وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جنــاح طــائر لا تزعجوا الشيخ فقد وقع الحمام على الوزير " [1] .

إن صح الخبر ففيه من المعرى ثقة مطلقة فى الله تزيده عزة وشموخاً، وإن كان الخبر من نسج الخيال فحسب المعرى تراثه الذى تركه يزداد به تألقاً وجمالا .

أما عن التهم الموجهة لدينه فيكفينا أن نسمعه يقول : [2]

أقيم خمسى وصوم الـدهر ألفـه
وأدمــنُ الــذكر أبكــاراً بآصــالِ

عيدين أفطر فى عامى إذا حضرا
عيد الأضاحى يقفو عيـد شـوال

إذا تنافست الجهــال فــى حلــل
رأيتنى وخصيص القطــن ســربالى

لا آكلُ الحيــوان الــدهر مــأثرة
أخاف من سوء أعمــالى وآمــالى

وأعبــد الله لا أرجــو مثابتــه
لكــن تعبّــد إكــرام وإجــلالِ

أصون دينى عــن جَعْــلٍ أؤملــه
إذا تعبــد أقــوام بأجعــالِ [2]

[1] - نكت الهميان ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

[2] - نفسه ، ص ١٠٩ .

فهلاّ بعد ذلك أن نرى فيه رأى الباخرزى حينما قال : " ولكن ربمـــا رشح بالإلحاد إناؤه ، وعندنا خبر بصره ، والله العالم ببصيرته والمطّلع على سريرته " [2] .

ويكفينا هنا فى هذا الموضع أنه عاش قوياً شامخاً لا تلـــين عريكتـــه رجل هذه صفاته ، كيف ينظر إلى الشمعة ؟ وبل ولماذا نظر إليها أصلاً ؟ مع أنه ليس فى حاجة إلى إضاءتها . مع أن هذه الإضاءة هى التى دفعت الشعراء إلى تأملها . إنه أعمى ، والأعمى لا يحتاج للضوء إلاّ لكى يراه الآخرون من خلاله ولا يرى هو الآخرين .

ولكن المعرى من خلال حاسة السمع وحاسة اللمس استطاع أن يكوّن للشمعة فى مخيلته مثالاً للقوة والشموخ والتحدى ، كما أنها مثال للعطاء أيضاً. وهل المعرى إلاّ بين هذا وذاك . يقول المعرى فى الشمعة باثّاً فيهـــا ســـمات التحمل والشموخ [3] :

وصفراءَ مثلى فى هواهـــا جليـــدةً
على نوب الأيّام والعيشـــة الضـــنكِ

تريـــك ابتســـاماً دائمـــا وتهلّـــلا
وصبراً على ما نابها وهى فى الهُلْكِ

فلو نطقت يومـــاً لقالـــت أظنـــكم
تخالون أنِّىَ من حِذار الرَّدى أبكـــى

فلا تعجبوا من ضحكها وابتسامها
فقد تدمع الأجفانُ من كثرة الضحكِ

---

[1] – الجعل بمعنى الرشوة (القاموس) .
[2] – دُمية القصر : لأبى الحسن الباخرزى ، تحقيق د. سامى مكى العانى ، جـــ١ / ص ١٢٨ ، دار العروبة – الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
[3] – دُمْيَة القصر ، جـ١ ، ص ١٣١ .

والمعرى عندما يبدأ مقطوعته بالحديث عن اللون الأصفر ، فهو لا يقصد اللون ، ولكنه يقصد الدلالات التى يستدعيها هذا اللون من سهر وسهد ومضنى ، " فالمكفوف لا يتصور من الألوان شيئا – إلاّ إذا كُفّ بعد سن الإدراك والتمييز – لذا فإن تشبيه المكفوف باستخدامه الألوان هو تقليد ومحاكاة " [1] ، والمعرى نفسه قد اعترف بذلك ، فقد ذكر مؤرخوه قوله : " لا أعرف من الألوان إلاّ الأحمر لأنى ألبست فى الجدرى ثوباً مصبوغاً بالعصفر لا أعقل غير ذلك ، وكل ما أذكره من الألوان ، إنما هو تقليد الغير واستعارة منه " [2] . فالمعرى ذكر اللون الأصفر للوازمه التى رسخت فى ذهنه سماعا عن هذا اللون .

والمعرى حينما أسقط حالته على الشمعة دار حول ثلاثة مجالات متصلة : المجال الأول يتمثل فى المصائب والمصاعب التى تقابله فى حياته والتى عبر عنها بـ " نُوب الأيام ، العيشة الضنك ، الهُلْك الردّى " ، وهذا المجال يقابله فى الشمعة الاحتراق ، المجال الثانى يتمثل فى الأعراض المترتبة على ما يسببه المجال الأول ، وقد عبر عنها المعرى بالعبارات : "صفراء " ، " أبكى " ، " تدمع الأجفان " وهذا المجال يمثل عند المعرى ، السهد والضنى والسهر ، يقابله فى الشمعة ذوبان الجسم واصفراره نتيجة الاشتعال .

---

[1] – شعر المكفوفين فى العصر العباسى : د. عدنان عبيد العلى ، ص ٣٢٥ – دار أسامة للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – ١٩٩٩م .

[2] – أنباه الرواة : للقفطى ، تحقيق : محمد أبى الفتح إبراهيم ، جـ١ / ٤٩ . الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨١م .

المجال الثالث يتمثل في أثر المجالين السابقين على الشاعر والشمعة وعبر عنه المعرى بالعبارات : " جليدة " ، " وصبراً " ، " ابتساماً " ، " كثرة الضحك " وكلها عبارات توحي بالتجلّد والقوة والعطاء والشموخ عند المعرى وعند الشمعة .

فالشمعة كانت تتجلد وتصبر وتعطى ، لأن طريقها مرسوم ، فلها دورة حياة لا تتغير والتي تنتهي بمصير محتوم . فلا جدوى من التململ والضعف .

وأبو العلاء يؤمن بنفس المصير المحتوم ، يقول في بعض أبياته ساخراً ممن يضحك متمسكاً بالحياة : [1]

ضحكنا وكان الضحك منّا سفاهةً
وحُقّ لسكان البسيطة أن يبكوا
تُحطّمنا الأيامُ حتّى كأننا
زُجاج ولكن لا يعاد له سبكُ

هذا الاعتراف بالمصير المحتوم ربما دفع أبا العلاء إلى التواضع يقول في كتاب من تصانيفه أهداه : [2]

قبول الهدايا سُنّةٌ مُستحبّةٌ
إذا هي لم تَسلكْ طريقَ تحابى
وما أنا إلاّ قطرةٌ من سحابة
ولو أنني صنّفتُ ألفَ كتابِ

[1] - معجم الأدباء ، جـ ١ / ٤٠٨ ، ومعاهد التنصيص للعباسي ، ١ / ١٤٠ .
[2] - معاهد التنصيص ، جـ ١ / ١٤٢ .

والشمعة أيضا وصفها بالتواضع ، ألم يقل : " تريك ابتساماً دائماً وتهللا " .

وإذا كان ابتسام الشمعة وكثرة ضحكها يتمثل فى العطاء الذى تؤديه ، وهو فى الأساس الإضاءة ، فليس ابتسام أبى العلاء وضحكه على الحقيقة أيضا ، فهو قد رفض كثرة الضحك قبل ذلك ، ولكنه يتمثل فى عطائه أيضا واستمراره فى هذا العطاء ، برغم ما يقابله من مصائب ومصاعب ، وبرغم العيشة الضنك التى تخيّرها ، وبرغم التحريض المستمر على هلاكه وقتله ، فاستمر يعطى ويعطى ، والعطاء هو قمة الضحك والابتسام . وعندما " دخل عليه القاضى المنازى ، فذكر له ما يسمعه عن الناس من الطعن عليه . قال : مالى وللناس وقد تركت دنياهم " [1] .

لقد آثر أبو العلاء أن يكون شمعة مضيئة على طريق البشرية الممتد.

* * *

ويأتى ابن ماكولا ، أبو نصر على بن هبة الله (ت ٤٨٥) ، ليوظف الشمعة توظيفاً جديداً ، إنه يجعلها مُسْعدته ومساعدته فى ليل سمائه الخوف والقلق ، إنه يصورها رافضة للفناء لا تريد أن تنزع من الحياة . إنه يسقط عليها مشاعره هو ، ورغباته هو ، إنه يربط مصيره بمصيرها . يقول : [2]

أقول ومالى مُسْعِدٌ غير شمعة
على طول ليلى ما تريد نُزُوعاً
كلانا نحيلٌ ذو اصفرار معذَّبٌ
بنار أسالت من حشاهُ نجيعاً
ألا ساعدينى طولَ ليلك إننا
سنفنى إذا جاء الصباح جميعاً

---

[1] - معاهد التنصيص ، جـ١ / ١٣٩ .

[2] - معجم الأدباء ، جـ٤ / ٣٤٦ .

فما الذى جعل ابن ماكولا ينتظر هذا الفناء المحقق ؟ مع أنـه " كـان لبيباً عارفاً ، عالماً ... وكان نحوياً مجوداً ، وشاعرا مبرزاً ، جـزل الشـعر فصيح الكلام ، صحيح النقل ، ما كان فى البغداديين فى زمانه مثله " [1] .

ولكنه برغم علمه وفضله كان ابن وزير ، فهو ابن الوزير أبى القاسم هبة الله بن ماكولا وزير جلال الدولة بن بويه ، وكان عمّهُ أبو عبد الله الحسن ابن جعفر ، قاضى القضاة ببغداد " [2] ، ولكن مصير الوزراء فى هذا العصـر معروف ، أقل ما فيه التعذيب والمصادرة مهما كانت منزلة الـوزير . هـل حدث شىء ما جعل (ابن ماكولا) ينتقل من مكان إلى مكان فقد " سـافر إلـى الشام والسواحل وديار مصر ، والجزيرة والثغور والجبـال ، ودخـل بـلاد خرسان وما وراء النهر ... ودخل مصر فى زى الكتبة – أى متنكراً ، ورجع إلى بغداد فأقام بها ، ثم خرج إلى خوزستان فقتل هناك " [3] .

فهل كان ابن ماكولا يتوقع هذا المصير ؟ ربما فلقد كان متهماً علـى الأقل فى دينه . يقول ابن الجوزى : " سمعت شيخنا عبد الوهاب يقـدح فـى دينه ويقول : العلمُ يحتاج إلى دين " [4] . وربما كانت هناك مقـدمات جعلتـه يحس بالاغتراب الشديد ، يحس بالوحدة ، وبتوقع الفناء العاجل .

ومن هنا وجدناه يلجأ إلى الشمعة طالباً منها المساعدة " ألا سـاعدينى طُولَ ليلك " ، إنّه يخاف أن تنتهى فتتضاعف وحدته فليس له أنيس يسعده فى

---

[1] – معجم الأدباء ، جـ٤ / ٣٤٢ .
[2] – نفس الصحيفة .
[3] – معجم الأدباء ، جـ٤ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ .
[4] – نفسه ، ص ٣٤٢ .

ليله الطويل غير هذه الشمعة ، إنّه يبثها رغباته فى التمسك بالحيـاة ، ولهـذا وجدنا الشمعة ترفض أن تُقلع عن الحياة ، لا حبا فى الحيـاة فهـى تعـرف مصيرها ، ولكن لتؤنس وحدته فى ليله الخائف المضطرب .

لقد عاشا معا – الشمعة والشاعر – ليلة طويلة يتجاذبها صراع بـين الحياة والموت . فالشمعة لا تريد نزوعا والشاعر لا يريد نزوعاً أيضاً ، ومع الصباح الشاعر يتوقع الفناء الحتمى ، وذلك مع ظهور أمره ومع انتهاء أمـر الشمعة .

وبين الرغبة فى البقاء وحتمية الفناء ، يعيش ابن ماكولا والشمعة حالة واحدة أعراضها : الاصفرار والنحول ، والتعذيب الداخلى . وذلـك بسـبب الاحتراق بنار مادية فى الشمعة ونار معنوية فى ابن ماكولا .

ولكنه كان متأكداً من النهاية ، " إننا سنفنى إذا جاء الصباح جميعاً " ولهذا قتل وانطفأت معه شمعته .

❧ ❧ ❧

أما الحسن بن أسد الفاروقى ، أبو نصر ، (ت ٤٨٧) فقد جعـل مـن الشمعة مؤانسة ومسامرة فى وقت عزّ فيه المؤانس والمسـامر . فالفـاروقى " شاعر رقيق الحواشى مليح النظم متمكن من القافية .. وكان نحوياً رأسـاً ، وإماماً فى اللغة يُقتدى به ، وصنف فى الآداب تصانيف تقوم له مقام شـاهدى عدلٍ بفضله وعظم قدره .. كان فى أيام نظام الملك والسـلطان ملكشـاه " [1] وكان " تولى الديوان بأمد وأناء التدبير فيه ، لكهولته وتداخله فحقّـق معـه واعتقل إلى أن شفع فيه طبيبٌ كان حظيًا بحضرة ملك شاه . فأطلق سراحه . وانتقل إلى ميافارقين . وقد باضت الرياسة فى رأسه وفرخت " [2] .

---

[1] – معجم الأدباء ، جـ٢ / ٤٥٧ .

[2] – أنباه الرواه ، جـ١ / ٢٥٤ .

وقام بالتمرد والعصيان مع أهل ميّافارقين على ابن مروان صـاحب ديار بكر " وأسقط اسم ابن مروان من الخطبة .. وبلغ ذلك ابـن مـروان .. فأنفذ إليه جيشاً .. وصدقوا في الزحف على المدينة حتـى أخـذوها عنـوة ، وقبض على ابن أسد ، وجيء به إلى ابن مروان فأمر بقتله .. فتدخل الفسّاني وكان لابن أسد يد عنده – في الشفاعة فيه إلى أن أطلقه ابن مروان .

وأقام ابن أسد منذ ساعت حاله وجفاه إخوانه وعاداه أعوانه ، ولم يُقْدم أحدٌ على مقاربته ولا مرافدته . حتى أضرّ به العيش ، فعمل قصيدة مدح بها ابن مروان ، وتوصل حتى وصلت إليه ، فلما وقف ابن مروان عليها غضب وقال : ما يكفيه أن يخلص منّا رأساً برأس ، حتى يريد منّا الرّفد والمعيشة ، لقد أذكرني بنفسه ، فاذهبوا به فاصلبوه ، فاذهبوا به فصلبوه " [1] .

فالفاروقي باضت الرئاسة في رأسه وفرخت ، أي أصبح محباً لهـا ، قاده حبه للرئاسة إلى التمرد ومنها إلى السجن والتهديد بالقتل . ثم شفاعة بغير ممسامحة ، ثم إلى وحدة ، وفقر وضنك ، ثم إلى الصلب بالذنب القديم .

هذه حياة الفاروقي وهذه مأساته ، والتي جعل شمعته تعيشها ، بحيث الصفات هي الصفات والملامح هي الملامح ، لا فرق إلاّ في أنها نديمة وهو مُنَادم ، والمنادم أعلى في الرتبة من النديم ، وأن لهيبها بادٍ ولهيبه خفـيٌ بـين جوانحه . يقول الفاروقي [2] :

---

[1] – معجم الأدباء ، جـ٢ / ٤٥٩ ، ٤٦٠ .
[2] – معجم الأدباء ، جـ٢ / ٤٦٢ .

ونديمةٍ لي في الظلام وحيدةٍ
مثلي مجاهدةً كمثل جهادي

فاللون لوني والدموع كأدمعي
والقلب قلبي والسهاد سهادي

لا فرق فيما بيننا لو لم يكن
لهبي خفيًا وهو منها بادي

فالفاروقي عاش الشمعة وعاشته . الاثنان يمران بنفس الظروف فحياتهما في ظلام بجمعها . ظلام الشمعة على الحقيقة وظلام الفاروقي خوف وفزع وعدم طمأنينة .

وكذلك الوحدة فهو وحيد لعزوف الناس عنه ، وهي وحيدة لأنه أرادها كذلك . هي تجاهد احتراقها ، وهو يجاهد ما ينتابه من خوف وفزع .

وما دامت الظروف واحدة ، فالأعراض بطبيعة الحال ستكون واحدة ، ولذلك وجدنا : اللون هو اللون ، والدمع هو الدمع وقلبه المضطرب هو قلبها ، والأرق هو الأرق . فالاثنان شيء واحد ، لا فرق غير أن لهبها مادي ولهبه معنوي في داخله .

وفي النهاية صُلب الفاروقي وصلبت معه شمعته لأنها كانت من وحي خياله الخائف وإحساسه المضطرب ، فطبيعي أن تصلب بصلبه .

ويأتي الطُّغْرائي الحسين علي بن محمد الأستاذ ، مؤيد الدين الأصبهاني (ت ٥١٥هـ) ، ليجعل من الشمعة مقياساً للمعاناة والكد والتعب، فيجد معاناته ومآسيه تفوق ما تتحمله الشمعة بكثير ، لقد كان له مع الشمعة شئون وشجون ، مثلما كانت له مع الحياة شئون وشجون .

فالطغرائي بضم الطاء المهملة ، وسكون الغين المعجمة وفتح الراء بعدها ألف مقصور ، هذه النسبة إلى من يكتب الطُّغَرى ، وهي الطرّة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ . ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه وهي لفظة أعجمية " [١] .

والطغرائي " خدم السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان ، وكان منشئ السلطان محمد مدة ملكه فتولىّ ديوان الطُّغراء ، وصاحب ديوان الإنشاء ، تشرفت به الدولة السلجوقية ، وتشوقت إليه المملكة الأيوبية ، وتنقل في المناصب والمراتب ، وتولى الاستيفاء ، وترشح للوزارة ولم يكن في الدولتين السلجوقية والإمامية من يماثله في الإنشاء .. وله في العربية والعلوم قدرٌ راسخ وله البلاغة والمعجزة في النظم والنثر " [٢] .

" ولقد ألم الطغرائي بمعارف عصره ، وقال الشعر ، وأحس في نفسه طموحاً إلى المناصب فانخرط في سلك الكتاب يتقرّب من المتنفذين والوزراء كعميد الملك ونظام الملك ، وزلف إلى السلاطين فخدم ملكشاه ثم ولده محمداً ،

---

١ – وفيات الأعيان : جـ٢ / ١٩٠ .

٢ – معجم الأدباء ، جـ٣ / ١٥١ ، ١٥٢ .

وبعد أن تقلب في حلو العيش ومره أصبح نائبا في ديوان الطغراء في وزارة (الخطير) .. ولا شك أنه ابتهج كثيرا للمنصب الذى هو أهله ، وحقق به هدفاً طالما سعى غليه ، فهو يطمع بالصدارة ، ولا يرضى لنفسه أن يبقى كاتباً بين كتاب الكثيرين ، أو نائبا يعيش ظلا لغيره ، ثم إنّه لا يسعى إلى ديوان الطغراء من أجل ديوان الطغراء ، إن هذا لا يكفيه ، وما هو إلاّ مرحلة تقربه من الهدف البعد "[1] .

إن خيال الطغرائي كان الأبعد يطمح إلى ما فوق الوزارة ، ومن حقه أن يحلم ، ألم يمتلك كل المقومات التى تؤهله والتى يبز بها غيره .

يقول الطغرائي معبراً عن طموحه وأحلامه : [2]

إذا لم يكن لى فى الولاية بسطةً
يطول بها باعى ويَسْطو بها يدى
ولا كان لى حكمٌ مطاعٌ أجيزه
فأرغم أعدائى وأكبُتُ حُسَّدى
ولم يَغْشَ بابى موكبٌ بعد موكبٍ
مخافة إيعادٍ وتأميل مَوْعِدِ
فأرْوَحُ لى منها اعتزالٌ يصونُنى
صيانة مطرور الغرار بن مُغْمَدِ

ولكن هل يتركه من حوله أن يحقق مطامحه ، إن هذا العصر لا يعترف بمقومات التفوق ، بل ربما هذه المقومات تجرّ على صاحبها أضغاناً

[1] - ديوان الطغرائي ، المقدمة ، ص ١٠ .

[2] - الديوان ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

وأحقاداً إن من حق الطغرائي أن يطمح وأن يسعى لأعلى المراتب ، ولكن أعلى المراتب يشغلها الغير ، كما أنها محل أنظار الغير أيضاً ، ولهذا وجدنا من وضعوا طموحه تحت المراقبة " فيتتبعوا حركاته وسكناته ، ويفسّروا كل نأمة ، ويحسدوا ويحقدوا ويشوهوا الحقائق ويختلقوا الأباطيل ، ويصبح ديدنهم إزاحة الطُّغرائي عن طريقهم والاستعانة في سبيل تلك الغاية بكل وسيلة .

وها هم يقتربون من غايتهم ، ويغيّرون عليه قلب السلطان – في أصفهان – ويؤلبون اللؤماء ويحدون من كلمته ويحطون من مكانته ، فلم يبق له ذلك ولم يعد له ذلك النفوذ ولقد بات في هم وقلق وبين إقدام وإحجام "[1] . وأصبح يرى طموحاته وأحلامه وهي تحتضر حتى لم يعد يستطيع المحافظة على الوظيفة التي يشغلها ، فتراه يكفر بالناس والمجتمع ، ويرى أن كل من حوله ذئاب " فكيف تبحث فيهم عن صديق ، يقول :[2]

قالوا وقد بكروا لعَذْلي إذ رأوا
أني بقيت بلا صديق فاردا

هلا اقتنيت صداقة من صاحبٍ
يغدو على نوَب الزمان مُسَاعِدا

فأجبتهم والحقُّ يَنصرُ نفسَه
والصدق لا يبغي عليه شاهدا

إن الصديق هو اسمٌ معنى لم تجد
من طالبيه في البريّةِ واجدا

من لي بهم والله لم يخلقْهُمْ
إن لم أكُنْ حقّاً فهاتوا واحدا

---

[1] – مقدمة الديوان ، ص ١١ .

[2] – الديوان ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

ويترك أصفهان ويذهب إلى بغداد بعيداً عن أعين أعدائه ، ويعمل فى خدمة الخليفة (المستظهر) ، ولكنه لم ينل المنزلة التى يستحقها ، فليس مــن السهل على الخلافة أن تختص رجلا لم ترض عنه السلطنة ، فســرعان مــا يعزل الطغرائى من الديوان ، ويخسر الطغرائى الديوان فى الوقت الذى كــان يحدث نفسه بالوزارة [١] .

ويضيق الطغرائى بمجتمعه وتضيق نفسه ، ويكره بغداد ومن فيهــا ، حيث أصبحت له دار غربة ، دار لا تعترف بمنــازل الرجــال وأقــدارهم . المناصب تسند لغير أهلها . ومن ثمّ وجدناه يصب جام غضبه على بغداد حيث لا فائدة من المقام فيها .

يقول فى العراق نادماً ومتحسراً على ما قضاه فيها من وقت ومال [٢] :

مَلِلْتُ ثــوائى بــالعراق ومَلَّنــى
رفاقى وكــان بــالعراق طِرابــا

وأنفقتُ من عُمرى وذات يدى بها
بضائع لــم أملــك لهُــنّ حســابا

وفارقنى أهــل الصّــفاءِ تبرّمــاً
بشحط نوى شابوا عليــه وشــابا

فلا زائرٌ يغشى جنــابى لحاجــة
ولا أنا أغشى مــا أقمــتُ جنابــا

إذا قلت : إنى قد ظفرت بصاحب
ســكنت إليــه ، خــاننى وأرابــا

---

[١] – مقدمة الديوان ، ص ١١ .

[٢] – ديوان الطغرائى ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

أقلب عيني لا أرى غير صـــاحبٍ
ظننت به الظـــنَّ الجميـــل فخابـــا

وكيف ثوائي بالعراق وقـــد غـــدا
علـــيَّ بهـــا رَوْحُ النســـيم عـــذابا

ويكرّس هذه الحالة النفسية وإحساسه الشديد بالفقد والغربة ، شـــعوره بحاجته إلى أهله ووطنه بعد أن انفض الناس من حوله بل وربما وجهوا إليـــه سهامهم . يقول في لاميته المشهورة [1] .

فيما الإقامة بـــالزوراء لا ســـكني
بهـــا ولا نـــاقتي فيهـــا ولا جملـــي

ناءٍ عن الأهل صِفرُ الكف منفـــردٌ
كالسيف عُرِّيَ متنـــاه مـــن الخلـــلِ

فلا صديق إليه مشـــتكى حزنـــي
ولا أنـــيس إليـــه منتهـــى جَـــذَلِي

طال اغترابي حتى حنَّ راحلتـــي
ورَحْلُهـــا وقَـــرى العسّـــالة الـــذُّبُلِ

غالٍ بنفســـي عِرفـــاني بقيمتهـــا
فصنتها عن رخيص القَـــدْرِ مبتـــذلِ

وعادة النصل أن يزهى بجـــوهره
وليس يعمـــل إلاّ فـــي يَـــدَيْ بطـــلِ

[1] - ديوان الطغرائي ، ص ٣٠١ وما بعدها .

ما كنت أوثرُ أن يمتد بي زمني
حتى أرى دولة الأوغادِ والسَّفَلِ

تقدمتني أناسٌ كان شوطهم
وراء خطوي إذ أمشي على مهلِ

هذا جزاء امرىء أقرانه درجوا
من قبله فتمنى فسحة الأجلِ

وإن علاني من دوني فلا عجب
لي أسوة بانحطاط الشمسِ عن زُحَلِ

ويقرر الطغرائي العودة إلى " جَيّ " القرية التي ولد بها بأصفهان ويمرض في " الرَّيّ " وهو في طريقه إلى بلدته ، فينعى نفسه وحاله يقول : [1]

مريضٌ بأرض " الرَّيّ " أعياه داؤه
وليس إلاّ بجَيّ طبيب

غريبٌ ، غريبُ القدر والفضل والهوى
ألا كلّ حال الفاضلين عجيب

ومالي ذنب يقتضي مثل حالتي
سوى أنّني ، فيما يقال : أديبُ

أبى اللهُ جمع الحظ والفضل للفتى
إلى أن يرى ماء سقاهُ لهيبُ

فإن عِشتُ لم أبرحْ بلادي وإن أمت
فلا مات بعدي في الزمان غريبُ

---

[1] - ديوان الطغرائي ، ص ٩٩ / ١٠٠ .

ويذهب الطُّغْرائى إلى بلده ، ويبدأ رحلة البحث فى الكيمياء ، علماً وتأليفاً حيث " كشف الأستاذ أبو إسماعيل سرَّ الكيمياء ، وفك رموزها واستخرج كنوزها ، وله فيها تصانيف منها : جامع الأسرار ، وكتابُ تراكيب الأنوار ، وكتاب حقائق الاستشهادات ، وكتاب ذات الفوائد ، وكتاب الرّد على ابن سينا فى إبطال الكيماء ، ومصابيح الحكمة ، وكتاب مفاتيح الرحمة ، وله ديوان شعر وغير ذلك " [1] . ولكن عمله فى الكيماء جرّ عليه الشرَّ فيما بعد حيث كان كل من يخرج عن العلم التقليدى تتخذ ضده ذريعة بالزندقة والإلحاد حدث هذا مع أبى حيان التوحيدى ومع أبى العلاء ، ومع الطغرائى أيضاً .

عاش الطغرائى فى بلدته فترة هادئة ولكن نفسه الطامحة إلى المعالى لم تهدأ ، وكلما وجد من هم أقل منه فى أعلى المناصب تثور نفسه ، وسرعان ما غلب عليه هواه فبدأ يبحث عن رحلة المتاعب من جديد وربما هى رحلة النهايات . يقول فى عزله ومقامه فى أصفهان [2] .

فيمَ المُقامُ على الهوانِ وجُنّتى
ترمى المرامى بى وسيفى مِخْذَمٌ
أَلضَّامُ فى دارٍ وأقعدُ راضياً
إنّى لنفسى إن فعلتُ لأظلَمُ
إلاَّ أكنْ شاكى السلاح فإنَّنى
بالعزم والرأى الحصيف مُسوَّمُ
نفسى مُشيَّعةٌ ، وقلبى باسلٌ
ويدى مُؤيّدةٌ ، وعقدى مُحكَمُ

[1] – معجم الأدباء ، جـ٣ / ١٥٢ .
[2] – ديوان الطغرائى ، ص ٣٤٣ .

قُــلْ للأُلَــى نجحُــوا ورامُــوا خُطَّــةً
عسراءَ أعيــا أن تصـــادَ الأنجــمْ
إلاّ تكفّــــوا عـــن عِنـــادى أجْنِهــــا
شعواءَ يَنْعرُ مـــن جوانبهـــا الـــدّمْ

إحساس بالقهر ، إحساس بالظلم ، ولكن هل أسلحة الطغرائــى التــى رفعها والمتمثلة فى العزم والرأى الحصيف والعلم والأدب ، تستطيع أن تقهر السيف والرمح فى عصر يرى القتل خلاصاً .

يذهب الطغرائى إلى الموصل ليقربه السلطان مسعود ويجعله وزيره ، وعندما مات السلطان محمد بن ملك شاه ، خلفه ابنه محمود أخــو الســلطان مسعود ، ولكن مسعود ينازعه ويريد أن يستقل بالموصل فتحاربا واقتتلا وقتل السلطان مسعود ، وقبض على الطغرائى ليقتل وقد جاوز الســتين ، " وروى أنه لمّا عزم السّلطان محمود على قتل الطغرائى أمر به أن يُشَدّ إلى شــجرة ، وأن يقف تجاهه جماعة بالسهام ، وأن يقف إنسانٌ خلف الشجرة يكتب ما يقول وقال لأصحاب السهام لا ترموه حتى أشير إليكم ، فوقفوا والسّهام مُفَوّقَةٌ لرميه فأنشد الطغرائى فى تلك الحالة :

ولقــــد أقـــول لمـــن يســـدّد ســـهْمَه
نحوى وأطــراف المنيّــة شُــرّعُ
والموت فى لحظــاتِ أحــورَ طَرْفُــه
دُونــى وقلبــى دُونَــه يتقطّــعُ
باللّهِ فتّش عــن فــؤادى هــل يُــرى
فيه لغير هــوى الأحبّــةِ مَوْضِــعُ
أهْوِنْ بــه لــو لــم يكُــنْ فــى طَيِّــه
عَهْدُ الحبيــب وســرُّه المُســتَوْدَعُ

فرق له وأمر بإطلاقه "[1] .

أطلقه السلطان ولكن أحقاد وزيره لم تطلقه فسرعان ما اتُّهم بالإلحاد " . فقال وزير محمود : من يكن ملحداً يقتل ، وقتل ظلماً ، وقد كانوا خافوا منه ، ولا قبل عليه لفضله فاعتدّوا قتله بهذه الحجة "[2] .

وهكذا طويت حياة الطغرائى ، ولكنه خُلّد فى التاريخ كرجل قتله فضله .

وهكذا وجدنا حياة الطغرائى حياة متقلبة لعالم كبير ، عاش ظلماً وقهراً وغربة ، لاقى من مجتمعه الحقد والكره والموت أيضاً " عاش عمره كله قلقاً ، قلقاً على نفسه ، قلقا على مجتمعه لقد فقد الطغرائى كل شيء ولم يعد إلاّ الموت يتمناه . يقول :[3]

يا ربِّ إن كان عيشى هكذا غصصا
فامنُن علىَّ بموتٍ فهو أروحُ لى
ثُكلٌ وفُرقةُ أحبابٍ ومرزأةٌ
فى المال والأهل والأتباع والخَوَلِ

ومن هنا تكونت نظرة الطغرائى إلى الشمعة ، نظرة مهموم استغرقه همه ، نظرة مقروح طال ليله وغاب صبحه ، ومن هنا وجدنا الطغرائى يتخطى غيره من الشعراء ، الذين جعلوا من الشمعة ذواتهم أما الطغرائى فما

---

[1] – معجم الأدباء ، جـ٣ / ١٥٢ / ١٥٣ .
[2] – وفيات الأعيان ، جـ٢ / ٩٠ .
[3] – الديوان ، ص ٣١٢ .

به أكثر وأكبر ، لأن معاناته لا تقارن ، ومن هنا وجدنا الشمعة عنده مساعدة فقط يتسلى بها ، حيث الشجي يبعث الشجي . يقول الطغرائي في عمود الشمع : [1] .

ومساعدٍ لي في البكاء مُساهرٍ
بالليل يؤنسني بطيب لقائه
هامي المدامع أو يصاب بعينه
حامي الأضالع أو يموتَ بدائه
غرثانُ يأخذ روحه من جسمه
فحياته مرهونةٌ بفنائه
يُشفِي على تَلَفٍ فيضربُ عُنْقَهُ
فيكونُ أقوى موجبٍ لشفائه
ساويتُه في لونه ونحوله
وفضلته في بؤسه وشقائه
أقوادعٌ طولُ النهار مرفّهٌ
كمعذَّبٍ بصباحه ومسائه

ونلاحظ في البداية أن الطغرائي يتحدث عن الشمعة هنا بلغة المذكر باعتبارها عموداً أو قضيباً من الشمع ، على ما يحمله الذكر من قوة تحمل وتميز في المقدرة ليتناسب ذلك مع ملكات الطغرائي وقدراته .

والطغرائي يحاول أن يسقط حالته النفسية على عمود الشمع . فعمود الشمع يبكي مثلما يبكي ، ويسهر مثلما يسهر . ولكن برغم الدموع التي تغلف

[1] – الديوان ، ص ٤٢ .

الاثنين إلاّ أن الطغرائى يأنس به ، لأنه فقد الصديق والصاحب ، ولأن الطغرائى كان جلداً وجدناه يسقط هذه الصفة على عمود الشمع فهو لا تسقط دموعه إلاّ إذا أصيب بعينه ، وهو حامى الأضالع إلاّ مع موت محقق ، وعمله المتمثل فى الإضاءة لا يكون إلاّ بالتلف وضرب العنق .

كل هذا يدل على أن المصائب تصهره وتقويه ، مثلما كانت مصائب الطغرائى تصهره وتقويه ، ولكن ربما كانت مصائب الطغرائى أقوى منه .

ولهذا وجدنا الطغرائى يوضح قوة ما يعانيه ، مبيّناً أن عمود الشمع برغم ما يلاقيه من ضرب للعنق ، ومن ذحول ، واصفرار ، فالطغرائى يمر بكل هذا إلاّ أنه يزيد عنه فى الإحساس بالبؤس والشقاء ، بل ويذهب إلى أبعد من هذا . يقول : لو افترضنا أن عمود الشمع يتساوى معه فى كل شىء فى حرقه القلب ، والسهاد طول الليل ، ولكن يظل هذا فى الليل فقط ، ولكن يستريح وينتعم مع الصباح وطول النهار ، أما أنا فعذابى مستمر لا يتوقف ليلاً ونهاراً .

لقد عبر الطغرائى عن حالته وحالة عمود الشمع باستخدام بعض المفردات السلبية والتى تعبر عن مأسى كل منهما والتى هى فى الحقيقة مأسى الطغرائى وحده فاستخدم " البكاء ، مساهر ، مدامع ، يصاب ، يموت ، داء ، غرثان ، فناء ، تلف ، بؤس ، شقاء ، حرقة القلب ، السهاد ، الدجى ، معذّب "

واستخدم بعض المفردات التى توضح حالته الإيجابية مع عمود الشمع مثل : " يؤنسنى ، حياة ، القوة ، الشفاء " وكلها تعبر عن حالة وقتية ، ثم يختص عمود الشمع ببعض المفردات التى تدل أن معاناته اقل من معاناة الطغرائى فاستخدم " واد التى تدل على الثبات والاستقرار طول النهار ،

ومرفّه أي منعم " والكلمتان تدلان على راحة عمود الشمع طول النهار ، في مقابل عذاب الطغرائي في الليل والنهار وبصفة مستمرة .

ولكن حتى مساعدة هذا العمود الذى استعان به الطغرائي لم تستمر ، لأنه سرعان ما يصدم بالفناء المقدّر ، وكأن الأيام تستكثر على الطغرائي أن يُستأنس حتى من الجمادات ، ولكن لا بأس أن يستبدل عمود بعمود آخر ، ولكن الكل يشترط أن يعمل مع الليل فقط ويتركه طول النهار . يقول الطغرائي في مقطوعة أخرى مركزاً على نفس الحالة التي لا تتغيّر :[1]

ومروّح سرّي سرورٌ لقائه
لولا اتصال فنائه ببقائه
يحكي القضيب قوامه ونحولُه
حسناً وضوءُ البدر من أسمائه
فيسرّني ليلا بحسن وفائه
ويسوؤني صبحاً بقبح جفائه
يشكو الحنين إلى الأليف ويغتدي
كلٌّ يعلّل نفسه برجائه
أبكي فيبكي غير أنّ دموعه
صرْفٌ ، ودمعي ممزج بدمائه
أعدى عليه لظى فؤادي فالتقى
نارٌ تُحثُّ عن لَظَى بُرَحائه
أمُعذَّبٌ والنارُ في عَذَباته
كمعذَّبٍ والنارُ في أحشائه

---

[1] – الديوان ، ص ٤٣ .

فالطغرائى يعبر عن سروره وفرحه بلقاء عمود الشمع ، ربما بسبب الوعاء الزمنى الذى يظهر فيه ، لأن عمود الشمع لا يظهر إلاّ مع الليل ، فخلوة المهموم مع الليل قد تقتله ، ولهذا وجدنا الطغرائى يسعد بعمود الشمع لأنه الوحيد الذى يؤنسه مع رهبة الليل ووحشته . إلاّ أن الطغرائى كان يحتاج أن يكون عمود الشمع بجانبه فى الليل والنهار ، وهذه دلالة على أن الطغرائى قد فقد الأمن والأمان فى الليل والنهار ولكنه فى النهاية يقبل منه العذر ، فهو أفضل ممن تركوه ليلاً ونهاراً .

ثم يعود الطغرائى مرة أخرى ليبين أن معاناته ومأساته أقوى من معاناة عمود الشمع ومأساته ، فالطغرائى يبكى دماً مخلوطاً بالدماء أى أن بكاءه متغلغل فى كل جسمه ، أما عمود الشمع فيبكى دموعاً نقية غير مخلوطة كما أن النار فى عمود الشمع لا تكون إلاّ فى رأسه فقط ، والذى عبّر عنه بالعذبات ، أما عذاب الطغرائى فيمزق ويحرق كل أحشائه .

تجربة إنسانية مريرة لم يرد الطغرائى أن يستقلها بكاملها على الشمعة رفقاً بها ، وحتى لا يكون ظالماً ، وهو يعانى مرارة الظلم ، ولهذا وجدناه عندما يشتكى للشمعة داراً ملتهبة فى قلبه ، وجدها تشتكى نفس الداء ، فرق لها واكتفى بأنها تعيش نفس تجربته .

ولهذا وجدنا الطغرائى يعرض الشمعة التى يضرب بها المثل فى الصبر والتجلّد والاحتمال على أنها أقل منه تحملاً وتجلداً ومعاناة . ولهذا وجدناه لا يتشبه بالشمعة بل الشمعة هى التى تتشبه به . يقول متحدثاً عن الشمعة بلغة المؤنث ، ربما لأن عزيمته قد خارت [1] :

---

[1] – ديوان الطغرائى ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

تشـبَّهتْ بـي طـولَ الليـل ناحلـةً
صفراءُ أفنى قُواها الـدمع والأرق

لها مـن النـار روحٌ فـوق مَفرِقهـا
تدبُّ فيها ولا يبقـى لهـا رَمَـقُ

تكابـد الليـلَ تُفنيـه ويأكلُهـا
والليل يضحك إذ تبكى وتحتـرقُ

فقلتُ : ما أنتِ مثلي . أنت فـى دَعَـةٍ
طولَ النهار ونـومى كلُّـه قلـقُ

فالشمعة تتشبه بالطغرائى فى السهر والضعف والاصـفرار والـدمع والقلق والمكابدة . إلاّ أنها ليست مثل الطغرائى لأن معاناة الشمعة كمـا مـرّ تكون فى الليل فقط أما معاناته ففى اليوم بأكمله .

إلاّ أن الطغرائى قد نقل المعركة بينه وبين مجتمعه إلى معركة بـين الليل والشمعة ، فالشمعة تقضى على الليل فتصىء ظلامه إلاّ أن هذا يكـون على حساب جسمها وعمرها حيث يتناقصان بالتلازم ، فعطاؤها مقترن دائماً بالفناء ، كما أن عطاء الطغرائى وتميّزه هو الذى عجل بنهايته ألم نقل : إنـه الرجل الذى قتله فضله .

وهكذا وجدنا الطغرائى ينقل الشمعة إلى محيطه المادى والمعنوى ، لا ليقيس عليها معاناته باعتبارها المثل ، ولكن ليوضح أنه يقاسـى أكثـر ممـا تقاسيه حيث إنه يحتمل مثلما تحتمل ولكنه يفوقها بعدة أشياء منها :

- أنه يفضلها فى الإحساس بالبؤس والشقاء فهو بشر وهى جماد .
- أنها تعذب فى الليل فقط أما هو فيعذب فى الليل والنهار .

- أن دموع الشمعة نقية غير مختلطة أما دموعه فممزوجة بالدماء .
- أن نار الشمعة فى رأسها فقط ، أما نار الطغرائى ففى داخل أحشائه .

ولكن برغم هذا لم يجد الطغرائى أفضل منها يأنس به فى زمن جفاه فيه الصديق ، وعزّ فيه الصاحب . وبقى الطغرائى من شمعته فى موضع الرأس على الدوام .

* * *

وتنتهى رحلة الشمعة مع أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) ليصف الشمعة بالصبر والكرم مثلما اتصف هو بهما " فأسامة بن منقذ من أكابر بنى منقذ ، أصحاب قلعة شيْزر ، وعلمائهم وشجعانهم ، له تصانيف عديدة فى فنون الأدب " [١] وقال العماد : وأسامة كاسمه فى قوة نثره ونظمه ، يلوح من كلامه أمارةُ الإمارة ، ويؤسس بَيْتَ قريضه عمارة العبارة ، حلو المجالسة ، حالى المُساجلة ندىّ النّدى بماء الفكاهة ، عالى النجم فى سماء النباهة ، معتدل التصاريف مطبوعُ التصانيف ، أسكنه عشق الغوطة ، دمشق المغبوطة " [٢] .

إلاّ أن الرجل برغم فضله وأدبه وإمارته إلاّ أنه تعرض لمحنة شديدة هو وأهله . فقد قيل : " ما زال بنو منقذ هؤلاء مالكى شَيْزر ، وهى حصن قريبٌ من حماة ، معتصمين بحَصَانتها ، ممتنعين بمناعتها ، حتى جاءت الزلزلة فى سنة نيف وخمسين ، فخرّبت حصنها ، وأذهبت حُسْنها وتملّكها نور الدين محمود بن زنكى عليهم ، وأعاد بناءها ، فتشعبوا شُعبا وتفرّقوا أيدى سبا" [٣] .

---

[١] – وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص ٦٣ .

[٢] – معجم الأدباء ، جـ٢ / ١٠٣ .

[٣] – نفسه ، ص ١٠٣ ، وتفرقوا أيدى سبا : أى تبددوا تبدداً لا اجتماع بعده ، وذلك نسبة إلى سبأ ، ، ولد قبائل اليمن التى تفرقت على أثر سيل أغرق ديارها .

وبعد هذه المحنة القاسية ، التي شتت شمل آل منقذ وأنزلتهم من منزلة السيادة إلى حاجة الباحث عن مأوى ، ينتقل أسامة إلى مصر فبقي بها مؤمراً مشاراً إليه بالتعظيم ، ثم عاد إلى الشام ، وسكن دمشق مخصوصاً بـالاحترام إلى أن نبت به كما تنبو الدار بالكريم ، فيذهب إلى حصن كيفا مقيماً بها فـي ولده مؤثراً لها على بلده ، وظل إلى أن مات ودفن بجبل قاسيُون " [١] .

وهكذا كان أسامة بن منقذ رجلا نزل من عزّ الإمارة إلى الباحث عن عنوان ، بعد أن غاب عنوانه وتشتت أهله ، ولكنه برغم انكسـاره وصـبره عاش بكرم الأمير ومحيا الأمير . ومن ثم كانت شمعته تحترق لكنها تصـبر وتضيء وهكذا كان أسامة يكتم احتراقه ويضيء كرما وعطاءً . يقول أسامة في الشمعة [٢] .

انظر إلى حُسن صبر الشمع يظهر للرّ
رائين نوراً وفيـه النـار تستعرُ
كـذا الكـريمُ تـراه ضـاحكا جَـذِلا
وقلبـه بـدخيل الغـمّ منْفَطِـرُ

وهل كان أسامة بن منقذ إلاّ صابراً كريما .

ولكن أسامة لم يستمر في كتمان لواعجه وأحزانه فسرعان ما يستدعي الشمعة أنيسة المكلومين ليبثها آلامه ومآسيه ، فهي تشبهه في النحول والتسهيد

[١] - معجم البلدان ، جـ٢ / ١٠٣ ، وفيات الأعيان ، جـ١ / ٦٣ .
[٢] - معجم الأدباء ، جـ٢ / ١٠٦ .

واللون والدمع ، ولكنها حبيبة إليه أيضاً لأنها هي التي تحدد ما يرى ومـــا لا يرى ، ولكنه لأنه جميل النفس لا يرى منها إلاّ الملاحة والجمال . يقول [١] :

أنيسي فـــي ليـــل القطيعـــة مشـــبهي
تحولا وتسهيدا ولونـــا ، وأدمعـــا
أواجــــه وجهـــا منـــه حيـــث رأيتـــه
متيـــراً إلـــي مـــن أشـــة مُتطلّعـــا
كمثْلِس جسمي سُـقْم جفنيـــه حيثمـــا
بدالي عاينـــتُ الملاحـــة أجمعـــا

وهكذا جاءت شمعة ابن منقذ كريمة صابرة ككرم صاحبها وصبره ، أحبها واعترف بفضلها حتى وهو يرى بجفنها السقم وحتى لو أرتـــه الوجـــه الواحد عدة أوجه .

وهكذا وجدنا الشعراء لم يكتفوا بوصف الشمعة وتأملها فقـــط ، بـــل جعلوا منها كائناً حيًا ، يحس بهم فيبثونها أحزانهم وأتراحهم ، ويخلعون عليها مشاعرهم حتى إن كل شاعر كان يرى فيها نفسه .

[١] – ديوان أسامة بن منقذ ، ص ٢٠٤ .

الفصل الثالث

شـــعر الشـــمعة

نظرات فنية

من الملاحظ فى شعر الشمعة أن السمة الغالبة عليه هى نظام المقطوعات الشعرية القصيرة لا القصائد الطوال . ولم يكن السبب فى هذه الظاهرة يعود إلى عجز المقطّعين عن التطويل كما يرى حازم القرطاجى فى منهاج البلغاء فى حديثه عن الفرق بين المقصدين والمقطّعين [1] ، لأن معظم الشعراء الذين وقفوا عند الشمعة وتأملوها نشهد دواوينهم بقصائدهم الطويلة والتى تزيد عدداً عن مقطوعاتهم .

كما لم يكن سبب التقصير أن الشعراء أوجزوا واختصروا ليُحفَظ عنهم كما أورد ابن رشيق القيروانى فى العمدة [2] . لأن الشاعر فى الشمعة لم يكن يكتب لجمهور يحفظ عنه أو لمتلقٍ خارجى يتلقف ما ينشد .

ولكنّ الشاعر عندما كتب عن الشمعة فإنه كان يصفها فى لحظة تأمل سريعة لأن الشمعة مركب بسيط غير معقد لا يستدعى التطويل . أو أنه أراد أن يعبر عن حالة امتزاج نفسى بينه وبينها وفى هذه الحالة كان يكتب لنفسه فقط ، إنه يعبر عن حالة نفسية منفردة فما جدوى المقدمات ؟ ، وما جدوى الخواتيم ؟ ، وما جدوى حسن التخلص والانتقال ؟ ، وما جدوى التشكى من الرحلة وتعب الراحلة ؟ مادام شعر الشمعة فى أغلبه يعبر عن صوت داخلى فقط ، صوت يرتد إلى الذات فيُحبس ويخرج نفثات وآهات شعورية .

إن الشاعر وهو يكتب عن الشمعة ما أراد أن يُشعر ولكنه أراد أن يتنفس بصدر كأنّه يصّعد فى السماء . فجاءت أبياته الشعرية على قدر الحالة الشعورية التى تنتابه والتى يستغرقها عادة فى لحظات بسيطة فلماذا التطويل

---

[1] – انظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .
[2] – انظر العمدة : جـ١ ، ص ١٣٣ .

إذن ؟ إنه يتحدث عن ذاته أو عن شيء يشبه ذاته ألم يمر بنا قول الفـــاروقى وهو يتحدث عن الشمعة [١] :

ونديمة لى فــى الظـــلام وحيـدة
مثلـــى مجاهـــدة كمثـــل جهـــادى
فاللون لونى والـــدموع كـــأدمعى
والقلب قلبـــى والســـهاد ســـهادى
لا فرق فيما بيننا لـــو لـــم يكـــن
لهبى خفيًـــا وهـــو منهـــا بـــادى

أو الطغرائى الذى يجعل من عمود الشمع مساعداً له فى البكـــاء لأن الشجى يبعث الشجى يقول فى أبيات مرثت [٢] :

ومساعد لى فى البكـــاء مســـاهرٌ
بالليـــل يؤنســـنى بطيـــب لقائـــه
مســـاويته فـــى لونـــه ونحولـــه
وفضـــلته فـــى بؤســـه وشـــقائه
أفـــوادعٌ طـــولَ النهـــار مرفَّـــة
كمعـــذَّب بصـــباحه ومســـائه

---

[١] – معجم الأدباء ، جــ٢ ، ٤٦٢ .
[٢] – الديوان ، ص ٤٢ .

إلاّ أن حالة الطغرائي أصعب بكثير من حالة عمود الشمع لأن الشمع يتعب ليلا ويرتاح نهاراً ، أما الطغرائي فتعبه ليل نهار . ألم نقل أن شعر الشمعة يعبر عن حالة شعورية لا تستدعي التطويل !

أما قصيدة الأرّجاني [1] في مدح عماد الدين طاهر بن محمد قاضي قضاة فارس ، والتي يبلغ عدد أبياتها تسعة وتسعين بيتاً ، فإنه جعل لها مقدمة طويلة في وصف الشمعة تبلغ هذه المقدمة أربعة وأربعين بيتاً ، ويعد هذا أطول ما قيل في وصف الشمعة .

وكأن الأرّجاني أراد أن يستخدم مقدمة جديدة غير معهودة ، فلم يعرف أن شاعراً قبله جعل من الشمعة مقدمة لقصيدة ، ولكن الأرجاني فعلها رغم أنه أطنب واسترسل ، فتراه يصف الشمعة جامعاً كل النعوت التي تحدث فيها الشعراء في مقدمته للمديح ، ثم تراه يسقط عليها حالته النفسية وهمومه التي يكابدها ، وكأنه استبدل ما كان يصفه الشاعر القديم من وصف التعب الذي كان يعانيه هو وراحلته وهو في طريقه إلى الممدوح بشمعة تقاسي ويقاسي مثلها وأكثر رغم علو منزلتهما ، ثم ينتقل إلى الممدوح في حسن تخلص بارع .

ولنتابع معه بعض أبيات هذه المقدمة الطويلة فنجده في بداية القصيدة يستخدم التصريع كعادة الشعراء في مقدمات المطولات ثم يصف الشمعة ، فيرى أن الشمعة تدخل على الليل فتفضح أسراره التي كان يخفيها ، ولكنها من أجل ذلك تلاقي الأمرّين ، فقلبها يخرج من فمها عبر نار مشتعلة في رأسها ، يصيبها الهزال والمرض ، طول لسانها يجر عليها قطع عنقها على

---

[1] - انظر ديوان الأرّجاني ، جـ٢ ، ص٣٥٩ وما بعدها ، والأرّجاني : هو أحمد بن محمد الحسين ، أبو بكر ناصح الدين ، شاعر ، في شعره رقة وحكمة ، عربي المحتد سلفه القديم من الأنصار ، ت ٥٤٤ .(انظر الأعلام ، جـ١ ، ص ٢١٥ ، معاهد التنصيص: جـ ٣/ ٤١).

الدوام ، تعيش غارقة في دموعها ، تتنفس نفس المهجور الذى قطعه أهله منذ فترة طويلة ، فبات يبكي على ذكراهم بكاءً حاراً .

هذه الشمعة نهايتها الموت والهلاك ، حتى أنّ النسيم العليل الذى يحيي الأرواح ويسعدها هو سم زعاف بالنسبة للشمعة . يقول [١] :

نمّتْ بأسرار ليلٍ كان يخفيها [٢]
وأطلعت قلبها للناس من فيها
قلب لها لم يرعها وهو مُكتمنٌ
إلاّ برقية نار من تراقيها
سقيمةٌ لم يزل طول اللسان لها
في الحيّ يجني عليها ضرب هاديها
غريقةٌ في دُمُوعٍ ، وهي تُحرِقُها
أنفاسها بدوام من تلظّيها
تنفّست نفسَ المهْجُور إذ ذكرتْ
عهد الخليط فبات الوَجْدُ يُبكيها
يُخشى عليها الردى مهما ألمّ بها
نسيمُ ريحٍ إذا وافى يُحَيِّيها

ثم ينتقل ليتحدث عن فوائد الشمعة عبر عدة تشبيهاتٍ مختلفة : فيجعل منها شهابا يشق وجه الأرض في المساء مشعلا نواصيها ، مفضلا موقعه في

---

[١] – نهاية الأرب للنويرى ، جـ ١ ، ص ١٢٠ .

٢– في الديوان (كاد) ، انظر جـ٢ ، ص ٣٥٩ .

الأرض عن السماء . أو يجعل من الشمعة غرّة بيضاء ظهرت لتنير الليالي الداجية السوداء ، أو هي ضرّة للشمس تظهر في غيابها فتملأ الأرض نوراً وضياءً ، بل هي حد رمح يلمع حاصداً عساكر الليل . يقول [1] :

بدت كنجم هوى في إثر عفرية
في الأرض فاشتعلت منها نواصيها
نجمٌ رأى الأرض أولى أن يُبوِّأها
من السماء فأمسى طوعَ أهليها
كأنها غُرَّةٌ قد سال شادخُها
في وجه دهماء يُزْهيها تَجلّيها
أو ضرَّةٌ خُلِقَتْ للشمس حاسدةٌ
فكلّما حُجِبَتْ ، قامت تُحاكيها
وحيدةٌ كشَباةِ الرُّمْحِ هازمةٌ
عساكرَ الليل إن حلَّتْ بواديها
ما طُنِّبت قطُّ في أرض مخيِّمة
إلاّ وأقمر للأبصار داجيها

ثم ينتقل الأرّجاني ليتحدث عن العديد من غرائب الشمعة : أسفلها يمد أعلاها بالحياة ، حياتها في قتلها وحرقها ، ثمارها ضوء أحمر اللون ، ساهرة طوال الليل ، جلدها أصفر ، شعلتها حمراء ، ذوائبها سود ، لياليها بيض ، تمد الليل بالنور وهي تنتحر ، فُصِّل ثوبها من الداخل وليس من الخارج ،

---

[1] - نهاية الأرب ، جـ١ ، ص ١٢٠ .

معتدلة القوام ، ولكن دائماً تقص لمّتها ، تقضي ليلها مفتوحة العين ، تمرض ولا تشفى إلاّ بقطع عنقها ، يقول:

لها غرائبُ تبدو من محاسنها
إذا تفكّرت يوماً في معانيها
كصَعْدةٍ في حشا الظلْماء طاعنة
تُسْقي أسافلُها ريّاً أعاليها
كالوَجْنةُ الوَرْدُ إلاّ في تناولها
والقامةُ الغُصنُ إلاّ في تقلّبها
صفْراءُ هنديّةٌ في اللون إن نُعتتْ
والقدّ واللين إن أتممتَ تشْبيها
فالهندُ تقتلُ بالنيران أنفُسها
وعندها أنّ ذاك القتْلَ يُحْييها
وَرْدٌ تُشاكُ به الأيْدي إذا قُطفتْ
وما على غصنها شوكٌ يُوقّيها
ما إن تزالُ تبيتُ الليلَ ساهرةً
وما بها علّةٌ في الصدْرِ تُطفيها
صفْرٌ غلائلُها ، حُمْرٌ عمائمُها
سودٌ ذوائبُها ، بيضٌ لياليها
تُحْيِي الليالي نُوراً وهي تقتلها
بئس الجزاءُ لعَمْرُ الله تجزيها !
قُدّتْ على قَدّ ثوبٍ قد تبطّنها
ولم يُقدّرْ عليها الثوبَ كاسيها
عَرّاءُ ، قَرْعاءُ ما تنفكُّ قاليةً
تقُصُّ لمّتها طوراً وتقليها

شَبَّاءُ شـعثاءُ لا تُكْسـى غـدائرها
لَـوْنَ الشـبيبةِ إلاَّ حـينَ تُبْليهـا
قَنَـاةُ ظلمـاءَ لا تنفـك يأكلهـا
سِنانُها طـولَ طَعْـنٍ أو يُشَـظِّيها
مفتوحةُ العين تُفْنـي ليلهـا سَـهَراً
نَعَـمْ ، وإفناؤهـا إيـاه يُفْنيهـا
وربَّما نال مـن أطْرافهـا مـرضٌ
لم يُشْفِ منه بغير القَطْع مُشْـفيها

ثم ينتقل الأرَّجاني ليمزج همومه ومتاعبه بهموم الشمعة ومتاعبهـا ، ولكنه يفقها في كل شيء ، فهي مسعدة وهو مهموم ، هي تظهر أسرار ليـل يحاول هو إخفاءه هي تبكي بدمع جارٍ وهو يخفي دموعـه خـوف الواشـين مصيرها مرسوم ومعروف ، أما هو فلا ، ليس لها مطالب ولم تبتعـد عـن أحبتها كما ابتعد ، ولا كابدت حساداً مثلما يكابد ، يقل [1] :

وَبَيْنٌ أنَّها في ظلام الليـل مُسْـعِدةٌ
إذا الهُمومُ دَعَتْ قلبـي دَواعيهـا
لـولا اخـتلاف طباعَينـا بواحـدة
وللطباع اخـتلاف فـي مَبانيهـا
بأنها فـي سَـوادِ الليـل مُظْهِـرَةٌ
تلك التي في سَوادِ الليـل أُخْفيهـا
وبينَنـا عَبَـراتٌ إنْ هُـمْ نظـروا
غَيَّضْتُها خوفَ واشٍ وَهْي تُجْريها

---

[1] – ديوان الأرَّجاني : جـ٢ ، ص ٣٦٢ .

ما عاندتْها الليالي في مطالبها
ولا عدَتها العَوادي عن مَباغيها
ولا رَمتْها بِبُعدٍ عن أحبّتها
كما رَمتْني ، وقُرْبِ من أعاديها
ولا تُكابدُ حُسّاداً أكابدها
ولا تَداجي بني دهرٍ أداجيها
ولا تَشكّى المطايا طُولَ رِحلتها
ولا لأرْجُلِها طَرْداً بأيْديها
لَبَثت إليّ ابتساماً في خلال بُكىً
وعَزّتني أنا عَضُّ الحُزنِ يَبْريها

ثم نراه ينتقل في حسن تخلص إلى الممدوح . يقول :

فقلت في جُنح لَيلٍ وَهْيَ واقفة
ونحن في حَضرَةٍ جلّت أياديها
لو أنّها علمت في قرب ن نصبتْ
من الوَرى لثَنتْ أعطافها تيها
من مثلها حين رَدّتْ عينها فرأتْ
خِدْن النّدى وَهْوَ مُحتَلٌّ بناديها

ثم يخاطب الممدوح مباشرة :
لك القِراءةُ فيها والقِرى جمعاً
فأنْتَ قارئها نُسكاً وقاريها

ومن هنا نرى أن الأرجاني جعل من وصف الشمعة مقدمة لقصيدة المديح حتى وإن أطنب وأطال . ولعلنا نستطيع أن نقول إن الأرّجاني أضاف مقدمة جديدة لمقدمات الشعر في العصر العباسي هي " المقدمة الشمعية " وفي هذا توظيف فني جديد للشمعة .

فإذا انتقلنا إلى **الصور الفنية** في شعر الشمعة لوجدنا أن الشعراء أجادوا وأبدعوا في رسم صورة الشمعة باعتبار الشمعة مشبها ، ومن الأمثلة على ذلك في الغرابة والحسن ، قول ابن الخلال في تشبيه الشمعة [1] :

وصحيحة بيضاء تطلع في الدجى
صبحاً وتشفي الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها
واسودّ مفرقها أوان فنائها
كالعين في طبقاتها ودموعها
وسوادِها وبياضها وضيائها

أو قول السّرّي الرّفّاء وهو يشبّه استقامتها بعنق ذكر الظلم وهو بغير منقار أو كالنخلة التي بغير سَعَفٍ ، يقول [2] :

وشمعة في يد الغلام حكت
عنق ظليم بغير منقار
تبكي إذا نار شوقها اضطرمت
بدمع تبر من الأسى جاري
كأنّها نخلة بلا سعفٍ
تحمل أُتْرُجّة من النار

[1] - خزانة الأدب : جـ٢ / ٣٨٩ .

[2] - ديوان السّرّي الرّفّاء ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

أو قول المأموني الذي يشبه شعلتها وهي تهتز في ماء البرك بالبدر الحائر بين النجوم في السماء . يقول [١] :

وشمعة وسط أيمن البرك
تميس في الماء ميس مرتبك
كأنّها البدر في السماء سرى
فحار في أوجه الفلك

أو قول أبو عبد الله المُغلّس وهو يشبه اهتزاز ضوء الشمعة بأيادٍ تتضرع مهتزة من الخوف فجاءت تطلب الأمانا . يقول [٢] :

كأنّ الشموع وقد أطلعت
من النار في كل رأس سنانا
أناملُ أعدائك الخائفين
تضرّع تطلب منك الأمانا

ولكن قلّ في الشعر استخدام الشمعة كمشبّه به ، أي تستخدم الشمعة في رسم صور لأشياء أخرى . ألاّ أن الطغرائي يصف جفوة غلامه مع إحسانه إليه بالشمع والنار ، فالشمع يحيي النار والنار تتلفه يقول [٣] :

---

[١] – الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : جـ١ / ٤٩٤ .
[٢] – خاص الخواص للثعالبي ، ص ٢٠٠ .
[٣] – ديوان الطغرائي ، ص ٢٥٧ .

من مُنصفي من ظلوم صار في يده
حُكمي فأنكر حقيَّ وهـو يعرفُـهُ
وكيف يَرْجُو فلاحاً في حكومتـه
من أمْرُهُ في يَدَيْ من ليس يُنْصِفُهُ
يُسيءُ بي عِنْدَ إحساني إليـه فـلا
شكواي تُجْدي ولا بلواي تُعْطِفُـهُ
إنّي وإيّـاهُ فـي بِـرّي وجفوتـه
كالشمع والنـار يُحْيِيهـا وتُتْلِفُـهُ

كما شبه أسامة بن منقذ الكريم بالشمعة في عطائها واحتراقها أيضاً : يقول [1] :

انظر إلى حُسن صبر الشمع يظهر للرّ
ائين نوراً وفيـه النـار تستعر
كـذا الكـريم تـراه ضـاحكا جَـذلا
وقلبـه بـدخيل الغـمّ منفطـرُ

وربما يعود قلة استخدام الشمعة كمشبه به إلى قلة من يشبه الشمعة في الواقع .

وقد يستخدم الشمع في بعض التعبيرات المأثورة ومنه **أضاء له أصابعه العشرة شمعا** ، وهذا التعبير تستخدمه العامة بكثرة إلاّ أنه قد ورد في الشـعر أيضاً . قال شاعر في صديق له يقال له شمس [2] :

---

[1] معجم الأدباء : جـ ٢ ، ص ١٠٦ .

[2] – خزانة الأدب للحموي ، جـ٢ ، ص ٧١ ، وضائع : أي لا يظهر لونه .

يـــا شـــمس أشـــعلت شـــمعاً
عليـــك عشـــر الأصـــابع
رغمـــاً لمـــن قـــال قبلـــي
الشـــمع فـــي الشـــمس ضـــائع

❧ ❧ ❧

وبالنسبة **للمحسنات البديعية** نجد أن شعر الشمعة يغلب عليه الطباق والمقابلة ، وربما كان سبب ذلك أن الشمعة فى الأساس تقوم على الثنائيات المتناقضة : كالنور ، والظلام ، والصحة والمرض ، والبقـاء والفنـاء ، أو الحياة والموت .

ومن أمثلة الطباق فى شعر الشمعة :

عربانـــة باطنهـــا مكتســـي
فأعجـــب لهـــا كاســـية عاريـــة

تأتيك ليلا كما يأتى المريب فـإن
لاح الصباح طواها دونك الحـذر

وهيفـــاء مـــن نـــدماء الملـــوك
تزيـــد فينقص مـــن قـــدرها

إذا أضحكت جنح داجـى الظـلام
بكت فجرى الـدمع مـن نحرهـا

فلا تعجبوا من ضحكها وابتسامها
فقد تدمع الأجفان من كثرة الضحك

ألا ساعدينى طـول ليلـك إننـا
سنفنى إذا جاء الصـباح جميعـا

تحيي الليالي نوراً وهي تقتلها
بئس الجزاءُ لعَمْرُ الله تَجْزِيها
تكابد الليل تفنيه ويأكلها
والليل يضحك إذ تبكي وتحترق
غرثان يأخذ روحه من جسمه
فحياته مرهونة بفنائه
ومُروّح سرّى سرور لقائه
لولا اتصال فنائه ببقائه
تجزّ لإصلاحها رأسها
فإفسادها عند إصلاحها
لاح لنا في مغرب
قرّدنا في مشرق

ومن أمثلة المقابلة :

أُوادع طول النهار مرقه
كمعذب بصباحه ومسائه
فيسرني ليلاً بحسن وفائه
ويسوؤني صبحاً بقبح جفائه
وبصورة ليل ولكنها
ضريرته عند إصباحها

وهكذا نجد أن اعتماد شعر الشمعة على الطباق والمقابلة بالذات أساسه التناقض الشديد فى حياة الشمعة ، والمبنى على الثنائيات المتناقضة كما أشرنا

☯ ☯ ☯

ومن الملاحظ أيضاً على شعر الشمعة **غلبة الأساليب الخبرية على الأساليب الإنشائية** . فالشعراء استخدموا الأساليب الخبرية بكثرة ملفتة وربما كان تفسير ذلك أن الشاعر فى شعر الشمعة لم يقصد أن يخاطب بشعره متلقياً خارجياً فيتوجه إليه بالطلب أو الأمر وخلاقه إنما شعر الشمعة عنده كان يدور فى دورة داخلية تبدأ منه وتنتهى إليه ، حتى عندما استخدم الشعراء الأساليب الخبرية اعتمدوا على النوع الأول منها ؛ الخبرية الابتدائية التى لا تحتاج إلى أى مؤكد على الإطلاق ، لأنهم أرادوا أن يلقوا عن أنفسهم فلا يهمهم من يسمع .

والشعراء عند استخدامهم للأساليب الخبرية يزاوجون بين استخدام الجمل الاسمية والجمل الفعلية ، فالجمل الاسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت شىء لشىء ليس غير [1] ، ومن أمثلتها قول الطغرائى :

ومساعد لى فى البكاء مساهر
بالليل يؤنسنى بطيب لقائه

هامى المدامع ، أو بصاب بعينه
حامى الأضالع أو يموت بدائه

أما الخبرية الفعلية فموضوعةٌ أصلا لإفادة الحدوث فى زمن معين ، أو تفيد الاستمرار التجددى [1] . فمن أمثلتها قول الطغرائى أيضاً :

---

[1] - علم المعانى : د. عبد العزيز عتيق ، ص ٥٠ ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٧٤

تشـــبهت بـــي طـــول الليـــل ناحلـــةً
صفراء ، أفنى قواها الدمع والأرق

تكابـــد الليـــل تفنيـــه ويأكلهـــا
والليل يضحك إذ تبكى وتحتـــرق

أو قول البيغاء :

تلبسن من شـــمس الأصـــيل غلائـــلا
فأشرقن فى الظلماء بالخلع الصفر

تبكـــى علـــى أحشـــائها بجســـومها
فأدمعها أجســـامها أبـــداً تجـــرى

أما عن استخدام الأساليب الإنشائية نجد أن الشعراء استخدموها بقلـــة لدلالات تتصل بذواتهم أيضا . ومن أمثلة استخدامها استخدام النهى للالتماس كما فى قول المعرى :

فلا تعجبوا من ضـــحكها وابتســـامها
فقد تدمع الأجفان من كثرة الضحك

والنداء للاستغاثة كقول ابن ما كولا :

ألا ســـاعدينى طـــول ليلـــك إننـــا
سنفنى إذا جاء الصـــباح جميعـــاً

والاستفهام للنفى كقول الطغرائى :

أقـــوداع طـــول النهـــار مرقـــه
كمعـــذَّب بصـــياحه ومســـائه

---

[1] - نفسه ، ص ٥٠ .

وقوله :

أمعـــذّب والنـــار فـــى عذبانـــه
كمعـــذّب والنـــار فـــى أحشـــائه

● ● ●

أما بالنسبة للأوزان فى شعر الشمعة نجد أن الشعراء استخدموا معظم البحور الشعرية إلاّ القليل منها ، كما استخدموا الأوزان التامة والمجزوءة .

فمن استخدامهم لبحر الطويل :

أقول ومـــالى مســـعد غيـــر شـــمعة
على طول ليلي ما تريـــد نزوعـــا
وصفراء مثلـــى فـــى هواهـــا جليـــدة
مثلـــى مجاهـــدة كمثـــل جهـــادى

ومن أمثلة البسيط :

ولا دليـــل ســـوى هيفـــاء مخطفـــةً
تهدى الركاب وجنح الليل يعتكـــرُ
تشـــبّهت بـــى طـــول الليـــل ناحلـــةً
صفراء أفنى قواها الدمع والأرقُ

ومن أمثلة الكامل :

ومُـــرَوّح ســـرى ســـرور لقائـــه
لـــولا اتصـــال فنائـــه ببقائـــه
ونديمـــة لـــى فـــى الظـــلام وحيـــدة
مثلـــى مجاهـــدة كمثـــل جهـــادى

ومن أمثلة المتقارب :

بشـــمع أعيـــر قـــدود الرمـــاح
ومســـرج ذراهـــا وأوانهـــا

ومجدولـــة مثـــل صـــدر الفتـــاة
تعـــرّت وباطنهـــا مكتســـى

ومن أمثلة الوافر :

وصُفر مـــن بنـــات الدحـــل تكســـى
بواطنهـــا وأظهرهـــا عـــوارى

ومن السريع :

وباخـــلٍ قـــدّم لـــى شـــمعة
وحالـــه أحـــرق مـــن حالهـــا

مـــا شـــبح يعجـــب مـــن رآه
صـــفرته تخبـــر عـــن ضـــناه

ومن المنسرح :

وشـــمعة فـــى يـــد الغـــلام حكـــت
علـــق ظلـــيم بغيـــر منقـــار

بركـــة صـــفر عمودهـــا شـــمع
تفيض ناراً مـــن موضـــع المـــاء

أما الأوزان المجزوءة فمن مجزوء الكامل :

صـــــفر الجســـــوم كأنمـــــا
صـــيغت مـــن الـــذهب المـــذاب
وإذا عرتهـــــــا مرضـــــــة
فشـــفاؤها ضـــرب الرقـــاب

ومن مجزوء الرجز :

وباكيـــــات قصـــــر الأعصـــــار
بـــادمع صـــفر لهـــا جـــوار
مجدولـــــة فـــــى قـــــدها
تحكـــى لنـــا قـــد الأســـل

ومن مجزوء الخفيف :

لـــم أجـــد شـــيئا كشـــيء
يجعـــل الليـــل نهـــارا
فتأمـــــل مـــــن قريـــــب
شـــجرا يحمـــل نـــارا

وهكذا نجد الشعراء استخدموا جميع الأوزان الشعرية باستثناء بعض الأوزان والتى ربما عدم الحصول على الشواهد هو السبب فى عدم الإتيان بها، كما وجدنا الشعراء استخدموا الأوزان: تامة ومجزوءة ، كما استخدموا الأوزان ذات التفعيلتين مثل الطويل والبسيط ، والأوزان ذات التفعيلة الواحدة مثل الكامل والوافر والمتقارب .

أما بالنسبة للقوافى فنجد الشعراء قد استخدموا جميع أنواع القـوافى ما عدا القافية المتكاوسة والتى عادة ما تحدث اضطرابا فى القافية نظراً لكثرة الأحرف المتحركة بين ساكنيها .

ومن أمثلة استخدام القافية المترادفة :

مـــا شـــيح يعجـــب مـــن رآه
صـــقرته تخبـــر عـــن ضـــناهُ

يبكـــى بجفـــن غالـــب كـــراهُ
أدمعـــه تزيـــد فـــى قـــواهُ

ومن القوافى المتواترة :

بركـــة صُـــفر عودهـــا شـــمع
تفيض ناراً فـــى موضـــع المـــاء

أقول ومـــالى مســـعد غيـــر شـــمعة
على طول ليلى ما تريـــد تزوعـــا

ومن القوافى المتداركة :

لقد أشـــبهتنى شـــمعة فـــى صـــبابتى
وفى طول ما ألقـــى ومـــا أتوقّـــعُ

ومجدولـــة مثـــل صـــدر الفتـــاة
تعـــرّت وباطنهـــا مكتســـى

ومن القوافي المتراكبة :

وشـــمعة وســـط أيمـــن البـــرك
تميس في المـــاء مـــيس مُرتبـــكِ
قـــولم غصـــن كأنّـــه ألـــفٌ
تهدى لنـــا مـــن رضـــابها لهبـــا

أما بالنسبة لعيوب القافية فمعظم المقطوعات الشـعرية خلـت مـن العيوب إلاّ في القليل .

حيث وقع سبط التعاويذي في عيب الإقواء في قوله :

وباخـــل قـــدّم لـــي شـــمعة
وحالـــه أحْـــرقُ مـــن حالِهـــا
فمـــا جـــرت مـــن عينهـــا دمعـــةٌ
إلاّ ومـــن عينيـــه أمثالُهـــا

حيث ضم حركة المجرى في البيت الثاني وكان حقها الكسر كما وقع كشاجم أيضاً في عيب الإصراف في قوله :

وصُفْرٌ مـــن بنـــات النحـــل تُكْســـى
بواطنهـــا وأظهرهـــا عـــواري
عـــذارى يفتضضـــن مـــن الأعـــالي
إذا افتضت من السُّفْلِ العـذارى

حيث فتح حركة المجرى في البيت الثاني وحقها الكسر .

أما عن **الموسيقى الداخلية** فلم يحفل الشعراء بتوفيرها ولكن وجدت بعض الأمثلة البسيطة عليها . حيث استخدم الأرّجانى التصريع فـى مطلـع قصيدته التى أشرنا إليها . يقول :

تمّت بأسـرار ليـل كـان يخفيهـا
وأطلعت قلبها للنـاس مـن فيهـا

فمن المعروف أن عروض البسيط التام مخبونة على الدوام . لكن لأن البيت دخله التصريع انتقلت تفعيلة العروض إلى ما عليـه تفعيلـة الضـرب فدخلها القطع من الخبن أيضاً .

كما استخدم بعض الشعراء الترصيع غير المقفى فى قوله :

وشـمعة قُـدّمت إلينـا
تجمـع أوصـاف كـلّ صَـبّ

صـفرة لـون ، وذوب جسـم
وفـيض دمـع ، وحَـرّ قلـب

حيث يتضح تساوى الجمل فى البيت الثانى .

ومن أمثلة الترصيع المقفى :

صـفرٌ غلائلهـا ، حُمْـر عمائمهـا
سـود ذوائبهـا ، بـيض لواليهـا

حيث يتضح تساوى الجمل مع اتفاقها فى القوافى .

* * *

وفى النهاية نصل إلى **المعجم الشعرى لشعر الشمعة** حيث نجد الشعراء خصصوا مجموعة من التعبيرات لكل سمة من سمات الشمعة ، فللونها تعبيرات ، ولشكلها الخارجى تعبيرات ولقدها واستقامتها تعبيرات .

وعندما تشتعل الشمعة تبدأ رحلة المرض وأعراضه ، ثم البكاء الذى يتساقط فى صورة شمع منصهر ، ثم قط الرأس الذى يؤدى حتماً إلى النهاية .

والشعراء عندما يتحدثون عن مراحل حياة الشمعة يتحدثون أيضاً عن إضاءتها التى فيها الجدوى من حياتها بمجموعة من التعبيرات .

ولأن الشمعة لها فوائد متعددة اكتسبت منزلة لدى الخاصة بالذات ، ومن هنا جاءت بعض التعبيرات التى تدور حول منزلة الشمعة .

ونحن بدورنا سنحاول أن نجمل هذه التعبيرات التى تتصل اتصالاً مباشراً بالشمعة :

١- اللون :

حيث نعت معظم الشعراء الشمعة باللون الأصفر وذلك باستخدام اللون نفسه ، أو باستخدام بعض الأشياء التى تحمل اللون وتعطى بعض الإيحاءات المصاحبة .

" واللون الأصفر مرتبط بالتحفز والتهيؤ للنشاط وأهم خصائصه اللمعان والإشعاع والإثارة والانشراح .. والأصفر المخضر من أكثر الألوان

كراهية وهو يرتبط بالمرض والسقم والجبن والغدر والخيانة [1] ، " وكثيراً ما يرتبط بالضعف والذبول " [2] .

ومن هنا وجدنا الشعراء يعبرون عن لون الشمعة بمستويين ، مستوى جمالي إيجابي قوامه الإشراق والانشراح ومستوى سلبي قوامه الحزن والكآبة.

فالمستوى الأول الذي يثير النشاط والتوهج ، عبروا عنه بما يلي :

أ – الذهب :

فعبروا عن الشمعة بأنها : غصن من الذهب ، قضبان تبر ، أغصان تبر صفْر ، رمح لجين سنانه ذهب ، عمود من التبر مغموسة قـي ذهـب ، جمارة من ذهب ، ذوائب صفْر .

ب– ياقوتة صفراء .

جـ – شمس الأصيل : تلبس من شمس الأصيل غلائلا .

د – الخلع الصفر : أشرقن في الظلماء بالخلع الصفر .

أما **المستوى الثاني** الذي يبعث إلى الحزن والألم . فعبروا عنه بما يلي:

أ – لون المريض : فعبروا عنها بأنها :

صفراء أفنى قواها الدمع والأرق ، وعن عمود الشمع ؛ صفرته تخبر عن ضناه ، وعن الشمع ، صفر الجسوم .

---

[1] – اللغة واللون : د. أحمد مختار عمر ، ص ٢٢٩ .

[2] – اللغة واللون ، ص ٢١٤ .

ب- شكل العاشقين : فعبروا عن عمود الشمع بأنه : " يحاكي رواء العاشقين بلونه " .

وقد غلبت تعبيرات المستوى الأول على وصف الشمعة في الفصل الأول ، وغلبت تعبيرات المستوى الثاني على علاقة الشمعة بالشاعر في الفصل الثاني .

٢- الشكل :

حيث تكتسب الشمعة سمة خاصة بها حيث إنها ناعمة ملساء من الخارج ، يلتف شمعها حول نسيج من خيط رفيع من الداخل ، ولهذا عبروا عن عريها وكسائها في آن واحد .

فعبروا عن العرى بـ " عارية ، قضبان تبر عريت من الورق – عريان الإهاب "

وعن كسائها قالوا : " باطنها مكتسى ، وعن عمود الشمع كسيّ الباطن منه " .

المهم أن الشمعة عارية كاسية في آن واحد .

٣- قدّ الشمعة :

ولأن الشمعة مستقيمة معتدلة القوام ، رشيقة عبروا عنها بالتعبيرات الآتية : هيفاء ، مخططّة ، مخطوفة الخصر ، مجدولة في قدها ، مجدولة مثل صدر الفتاة ، مفتولة مجدولة ، ممشوقة في قدّها ، تحكى قدّ الأسل ، قوام غصن كأنّه ألف ، تبدى لنا كالغصن ، تحكى القضيب قوامه ، فاتن القد ، قدّ الكعاب ، قضبان ، عمود من التبر ، بشمع أعير قدود الملاح ، كأنّه رمح لجين ، كالدخل بلا سعف .

كل هذه التعبيرات تدل على رشاقة الشمعة واعتدال قوامها . وكلهـا تعبيرات قد تستخدم فى التعبير عن جمال الأنثى ثم استعارها الشعراء للشمعة.

٤- مرض الشمعة :

حيث نعتت الشمعة بالكثير من النعوت التى تصور حالها وما تعانيـه من أعراض تدعو حتما إلى نهايتها ومن هذه النعوت :

(سقيمة ، كالعاشق المدنف ، تكابد الليل ، معذّب الليل إلى ضحاه ، تلتهب نار الشوق فى حشاه ، فيها النار تستعر ، لهبها باد ، جليدة ، ناحلـة ، تحترق ، وحيدة ، مفردة ، السهاد ، المجاهدة ، تغيير اللون ، السهر ، أفنـى قواها الدمع والأرق ، البؤس ، الشقاء ، فى بلاء وعذاب ، حرقة قلب .

كل هذه النعوت تعبر عن أعراض مادية ومعنوية وما هى إلاّ نعـوت لأعراض مرضية يعانى منها الشعراء أنفسهم ، ثم أسقطوها علـى الشـمعة سميرتهم وأنيستهم .

٥- دموع الشمعة :

ويقصد به الشمع المنصهر الذى يعطى الحياة للشمعة ، حيث عبر عنه الشعراء بالدموع أو البكاء .

فوصفوه بالدموع فقالوا : " أدمعها طوال ليلها سكب ، أدمعه تزيد فى قواه ، يقطر منها أدمع صفر ، جرى الدمع من نحرها ، تحدّر الدمع ، دموعه صرف ، فرض دمع ، أدمعها أجسامها أبدا تجرى ، فلم أر جمراً ذائبـا غيـر دمعها .

وعبروا عن انصهار الشمع بالبكاء فقالوا : باكية ، تبكى ، يبكى بجفن غائب كراه ، باكية على الدجى ، تبكى على أحشائها بجسومها .

فالبكاء والدموع سمتان إنسانيتان خلعهما الشعراء على الشمع أيضاً .

٦- قطّ الرأس :

نجد أن الشعراء استخدموا بعض التعبيرات القوية والمفزعة فى قـط رأس الشمعة وكأنّها مخلوق متوحش ، أو شقى يُقتص منه على تذيه ، فمـن التعبيرات التى استعملها الشعراء :

أ – قص الشعر : فقد قيل : " إيقاظها القص من شعرها " وهذا التعبير هـو أخف التعبيرات .

ب- قطع الرأس : فقالوا : " وإن قطعوا الرأس لم تمرض ، تحيـا إذا مـا رأسها قطعت ، وإن قطعت من الرأس لم تتعس " .

جـ- ضرب العنق : فقالوا : " شفاؤها إن مرضت ضرب العنق ، لها من ضرب الرقاب شفاء ، سياقها بضرب أعناقها ، إذا عرتها مرضـة فشـفاؤها ضرب الرقاب " .

د – جزّ الرأس : فقالوا : " تجزّ لإصلاحها رأسها " .

وقد يأخذنا العجب من استخدام هذه التعبيرات القظيعة مع شمعة مـن المفترض أن تتسم بالرقة والجمال يضرب بها المثل فى التضحية . فبدلا مـن استخدام عبارات الرفق فى كل ما يتصل بها . نجد الشعراء استخدموا معها ما يستخدم مع المجرمين المارقين الخارجين على القانون ، ولكـن قـد يـزول العجب إذا عرفنا أن قطع الرأس أو ضرب العنق كانت اللغة السائدة والبسيطة فى تخلص الساسة من خصومهم ، إنها لغة العصر ، لغة القتل والمصـادرة . فلقد روى مسكويه كيف قتل أبو الحسن ابن الفرات وزير المقتـدر ، وابنـه

المحسّن . فبعد أن أمر المقتدر بضرب أعناقهما " صار نازوك – القائد العسكري للمقتدر – إلى دار الوزارة بعد الظهر من ذلك اليوم فجلس في الحجرة التي كان ابن الفرات معتقلاً فيها ووجّه (بعجيب) خادمه ومعه السودان حتى ضرب عنق المحسّن . وصار برأسه إلى أبيه فوضعه بين يديه فارتاع لذلك ارتياعاً شديداً ، وعُرض هو على السيف ، فقال لنازوك : يا أبا منصور ليس إلاّ السيف ؟ راجع أمير المؤمنين في أمري ... فقال له نازوك : قد جلّ الأمر عن هذا ، وأمر به فضربت عنقه وحمل رأسه ورأس ابنه إلى المقتدر بالله فأمر بتغريقهما ففُرّقا في الفرات " [1] .

هذه نهاية وزير وابنه ، ضرب العنق ! ولكن هل سلم المقتدر من نفس المصير . يحكي مسكويه في أحداث سنة ٣٢٠هـ . " ووافى البربر من أصحاب مؤنس فأحاطوا بالمقتدر وضربه رجل منهم من خلفه ضربة سقط منها إلى الأرض . وقال : ويحكم أنا الخليفة . فقال البربري : إياك أطلب ، وأضجعه فذبحه بالسيف ، وكان معه رجل من خلفاء الحجاب طرح نفسه عليه فذبح أيضاً ، ورفع رأس المقتدر على سيف ، ثم على خشبة ، وسلب ثيابه حتى سراويله ، وترك مكشوف العورة إلى أن مرّ به رجل من الأكرة فستر عورته بحشيش ثم حفر له في الموضع ودفن حتى غطا أثره " [2] .

هذا مصير خليفة تقطع رأس وتكشف عورته . ولكن هل قتل قاتلوه من القصاص ؟ لقد لقوا نفس المصير وبنفس الطريقة . يحكي مسكويه في أحداث سنة ٣٢١هـ " ودخل القاهر إلى الموضع الذي كان فيه (مؤنس) و(بلبق) وابنه معتقلين ، فذُبح علي بن بلبق بحضرته ووجه برأسه إلى أبيه ،

[1] – تجارب الأمم لمسكوية : جـ١ ، ص ١٣٨ .
[2] – تجارب الأمم لمسكوية : جـ١ ، ص ٢٣٧ .

فلما رآه جزع وبكى بكاء عظيما ، ثم ذبح بلبق ووجه برأسه ورأس ابنه إلى مؤنس ، فلما رآهما لعن قاتلهما فأمر به فجرّ برجله إلى البالوعة ، وذبح كما تُذبح الشاه والقاهر يراه . وأخرجت الرءوس الثلاثة في ثلاث طاسات إلى الميدان حتى شاهدها الناس ، وطيف برأس علي بن بلبق في جانبي بغداد ، ثمّ ردّ إلى دار السلطان ، وجُعل مع سائر الرءوس في خزانة الرءوس على الرسم "[1] .

ابعد هذا يأخذنا العجب ونمتعض لأن الشعراء استخدموا مع الشمعة عبارات مفزعة مثل : قطع الرأس وجزّها وضرب العنق ، ليأخذنا العجب من عصر تحتوى دار السلطان فيه على خزانة للرءوس . خزانة للرءوس في دولة إسلامية !! بل وتتعرض هذه الرءوس للعبث . يحكى مسكويه : " حدثنا سلامة الطولوني الحاجب إنه لما أُخرج إليه راس مؤنس ليصلحه فرّغ الدماغ منه ووزنه فكان ستة ارطال ... "[2] .

إنّه عصر كل الرءوس فيه كانت معرضة للقطع وكل الأعناق معرضة للضرب حتى الشعراء أنفسهم لم يكونوا آمنين على رءوسهم . فشيء طبيعي أن تتردد هذه التعبيرات في أشعارهم . وينبغي أن نهوّن على أنفسنا فهذه كانت ثقافة العصر .

٧- نهاية الشمعة :

عبر الشعراء عن النهاية المأساوية للشمعة بعدة تعبيرات ، وهي تعبيرات في معظمها تدل على المعاناة التي تعيشها الشمعة من أجل أن تؤدى

---

[1] - تجارب الأمم ، جـ ١ ، ص ٢٦٨ .

[2] - نفسه ، جـ١ ، ص ٢٦٨ .

دورها . ومن هذه التعبيرات " النار فيها كالأجل ، حياته مرهونة بفنائه ، أرواحها تأكل أجسادها ، تأخذ روحه من جسمه ، تفنى ، قِصَرُ الأعمار ، النار فيها تستعر ، فيها النار تشتعل ، النار فى عذابه ، داره فى المفرق " .

وكلها تعبيرات تفيد أن الشمعة تقدم نفسها قرباناً حتى تضيء للآخرين.

٨- نور الشمعة :

عبر الشعراء عن إضاءة الشمعة ونورها فى الليل بصور مختلفة ومعظمها صور مجازية ، مثل :

- تكبد الظلام ، أى تنيره .
- النجوم المضيئة : فقالوا : " هى بالليل أنجم صفر ، هى بالليل أنجم زهر ، ثمارها مثل مصابيح الأفق " .
- الضحك والابتسام : فقالوا : " أضحكت جنح داجى الظلام ، تريك ابتساماً، ضحكها وابتسامها ، الليل يضحك " .
- النهار أو الضحى : فقالوا : " أعاد جنح الليل وهو ضحاء،عاد ظلام الليل كالنهار ، تحاكى الصباح بمصباحها " .
- البياض : فقالوا : " تثنى الدجى عن لونه فيعود مبيضّ الحجاب " .
- الفجر المنير : يشق جلاليب الدجى فكأنما بين أيدينا عمود من الفجر .
- بصيرة ليل .
- ليلة البدر : فقالوا : " فوقه شعاع كأنه ليلة البدر " .
- الشهاب : فقالوا : " عاينت سهماً يضيء " .

وهكذا وجدنا الشعراء قد عبروا عن نور الشمعة وإضاءتها بتعبيرات مختلفة وكلها تعبيرات مجازية كما أشرنا .

منزلة الشمعة :

فنظرا لما تؤديه الشمعة من دور الإضاءة وتجميل المكان الذى توضع فيه احتلت مكانة لدى الخاصة بالذات . ولهذا وجدنا الشعراء يعبرون عن هذه المنزلة التي تحتلها الشمعة . فقالوا : " من ند ـاء الملوك ، هيفاء من ندماء الملوك ، نديمة في الظلام " .

كما عبروا عن طهارتها وأصالتها فقالوا : " سليلة النحل ، من بنات النحل " .

وبهذا نكون قد انتهينا من دراسة المعجم الشعرى للشمعة ، حيث أبرزنا جميع المجالات التى دار عليها شعر الشمعة والتعبيرات الخاصة بكل مجال . وبنهاية المعجم الشعرى أيضاً نكون قد انتهينا من سرد بعض الملاحظات الفنية في شعر الشمعة . والتى بها ينتهي هذا البحث .

والحمد لله رب العالمين

خاتمـــة البحـــث

خاتمة البحث

وفى النهاية نحاول أن نجمل ما جاء بين صفحات البحث .

ففى التمهيد تناول البحث المعنى اللغوى للشـمعة ، وإنتـاج الشـمع وأنواعه ، واستخداماته ، وموقف الأدب من الشمعة .

وفى الفصـل الأول دار البحث حول وصف الشمعة فوجدنا الشـعراء تحدثوا عن قوام الشمعة واعتداله وتحدثوا عن لونها وعن دموعها ونهايتها .

ثم تحدثوا عن فوائد الشمعة حيث استخدمت كوسيلة للإضاءة ، وهدية قيمة تقدم فى المناسبات كما استخدمت للزينة فى البرك والطسوت ، كما ، كما كانت تعين على السهر ليلاً فى الأديرة للشراب .

كما استخدمت الشمعة كمصدر لشعر الألغاز نظراً لمـا تحملـه مـن دلالات تجسد فى النفوس مثلاً حياً للتضحية .

والفصل الثانى دار حول الشمعة فى وجدان الشعراء ، حيـث رصـد بعض الإسقاطات النفسية لعدد من الشعراء على الشمعة فتناولنا من الشعراء : السَّرِى الرفَّاء، وابن هانئ الأندلسى ، وابن الأنبارى ، وأبو الفرج الببغـاء ، وأبو العلاء المعرى ، وابن ماكولا ، والقلاَّوقى ، والطغرائى ، وأسامة بـن منقذ.

وفيه وجدنا الشعراء لم يكتفوا بوصف الشمعة وتأملها فقط بل جعلـوا منها كائناً حياً ، يحس بهم فيبثونها أحزانهم ويخلعون عليها مشاعرهم .

ودار **الفصل الثالث** حول : شعر الشمعة نظرات فنية ، وفيه لوحظ غلبة المقطوعات الشعرية على شعر الشمعة ، إذ لا يوجد فى شعر الشمعة إلا قصيدة الأرّجانى التى جعل مقدمتها فى وصف الشمعة تصل إلى أربعة وأربعين بيتاً ، وفيه وجد كثرة الصور التى تستخدم الشمعة كمشبه وقلة الصور التى تستخدم الشمعة كمشبه به .

كذلك وجدنا الشمعة تستخدم فى بعض التعبيرات ، كما لاحظنا غلبة الطباق والمقابلة من المحسنات البديعية على شعر الشمعة ، وعللنا ذلك بأن فلسفة الشمعة قائمة على الثنائيات المتضادة مثل الطباق والمقابلة .

وكذلك لاحظنا غلبة الأساليب الخبرية على الإنشائية ، وعللنا بأن الشاعر ما أراد أن يخاطب طرفاً خارجياً على الأغلب .

كما لاحظنا أن شعر الشمعة جاء على معظم أوزان الشعر وقوافيه وضربنا الأمثلة على ذلك .

ثم خُتم الفصل بمعجم لشعر الشمعة ، حيث استخدم الشعراء عبارات خاصة لكل سمة أو حالة من سمات الشمعة وحالاتها . فرصدنا العبارات التى دلت على : اللون والشكل ، والقد ، والمرض ، ودموع الشمعة ، وقطّ الرأس ونور الشمعة ، ومنزلة الشمعة .

وهكذا انتهى البحث الذى أسأل الله أن ينفع به ويوفقنى إلى الحق والصواب دائماً .

المصـــادر والمراجـــع

المصادر والمراجع

١- الأحاجي والألغاز الأدبية .

عبد الحي كمال – مطبوعات نادي الطائف الأدبي – الطبعة الثانية ١٤٠١هـ

٢- أنباء الرواه .

للقفطي – ت محمد أبو الفتح إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م .

٣- تجارب الأمم :

لأبي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

٤- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري .

لآدم متز – ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة – ١٩٤٠م .

٥- خزانة الأدب وغاية الأرب .

تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي – شرح عصام شعيتو – دار مكتبة الهلال – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٩١م .

٦- دمية القصر وعصرة أهل العصر :

لأبي الحسن الباخرزي . ت – د . سامي مكي العاني ، دار العروبة – الكويت – الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٧- ديوان الأرَّجاني :
ناصح الدين أحمد بن محمد – تقديم وشرح ، قدرى مايو ، دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م .
٨- ديوان أسامة بن منقذ .
ت د . أحمد بدوى وحامد عبد المجيد – عالم الكتب – بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .
٩- ديوان سبط التعاويذى .
لأبى الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله المعروف بسبط التعاويذى ، ت.ر.س مرجليوث – دار صادر – بيروت .
١٠- ديوان السَّرِّى الرفَّاء .
للسَّرِّى بن أحمد الكندى أبو الحسن الرفاء – تحقيق كرم البستانى – مراجعة ناهد جعفر – دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ .
١١- ديوان الصنوبرى .
أحمد بن محمد الحسن الضبّى – تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٩٨م .
١٢- ديوان الطغرائى .
لأبى إسماعيل الحسين بن على – تحقيق . على جواد الطاهر ود. يحيى الجبورى – دار القلم – الكويت – الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
١٣- ديوان كشاجم .
محمود بن الحسن – تحقيق : النبوى عبد الواحد شعلان ، مكتبة الخانجى– الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

١٤- ديوان الميكالى .

عبد الله بن احمد بن على الميكالى - تحقيق : جليل العطية - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٥- ديوان الوأواء الدمشقى .

أبو الفرج محمد بن أحمد الغسانى المشهور بالوأواء - تحقيق د. سامى الدهان - دار صادر - بيروت - الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م .

١٦- رسوم دار الخلافة .

لأبى الحسن الهلال الصابئ - تحقيق ميخائيل عواد - دار الرائد العربى - بيروت .

١٧- زهر الآداب .

لأبى إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى - تحقيق د. زكى مبارك - دار الجيل - بيروت - الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢ .

١٨- شعراء من العصر العباسى الثانى .

الدكتور عبد الله أحمد باقازى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

١٩- شعر البيغاء .

دراسة وتحقيق . د. سعود محمد عبد الجابر - مؤسسة الشرق للعلاقات العامة - عمان الأردن - الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

٢٠- شعر المكفوفين فى العصر العباسى .

د. عدنان عبيد العلى - دار أسامة للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - ١٩٩٩م .

٢١- علم المعانى .

د. عبد العزيز عتيق - دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٧٤م .

٢٢- **العمدة فى صناعة الشعر ونقده .**

لأبى الحسن بن رشيق القيروانى – تحقيق د. مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٢٣- **عيون الأخبار .**

لابن قتيبة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

٢٤- **اللغة واللون .**

د. أحمد مختار عمر – عالم الكتب – الطبعة الثانية ، ١٩٩٧م .

٢٥- **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص .**

للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى – تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد – عالم الكتب – بيروت – ١٣٦٧هـ – ١٩٤٧م .

٢٦- **معجم الأدباء أو إرشاد الأريب فى معرفة الأديب .**

لأبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

٢٧- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء .**

لأبى الحسن حازم القرطاجنى – تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة – دار الغرب الإسلامى – بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٨٦م .

٢٨- **الموسوعة العربية العالمية .**

مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

٢٩- **نزهة الأبصار فى محاسن الأشعار .**

شهاب الدين أبى الحسن العنابى – تحقيق : السيد مصطفى السنوى وعبد اللطيف أحمد لطف الله – دار القلم – الكويت – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م .

٣٠- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة .

للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي – تحقيق عبود الشـالجي – دار صادر – بيروت – ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

٣١- نكت الهميان في نكت العميان .

لصلاح الدين الصفدي – المطبعة الجمالية في مصر .

٣٢- الوزراء أو تحفة الأمراء .

لأبي الحسن الهلال الصابي – تحقيق عبد الستار فراج – عيسى البـابي الحلبي – ١٩٥٨م .

٣٣- وفيات الأعيان .

لابن خلكان – تحقيق د. إحسان عباس – دار صادر ، بيروت .

٣٤- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر .

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعـالبي – دار الكتـب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥-٧
التمهيد	٩-١٩
الفصل الأول : وصف الشمعة	٢١-٥١
الفصل الثانى : الشمعة فى وجدان الشعراء	٥٣-٩٨
الفصل الثالث : شعر الشمعة ، نظرات فنية	٩٩-١٣٠
خاتمة البحث	١٣١-١٣٤
المصادر والمراجع	١٣٥-١٤١